أريج التقوى

الدكتور محمد محمود كالو

دار النهضة العلمية
1439 هـ 2018 م

أريج التقوى

الدكتور محمد محمود كالو

الأستاذ المشارك في جامعة أديامان التركية

دار النهضة العلمية

1439 هـ 2018 م

جميع الحقوق محفوظة

دار النهضة العلمية

الطبعة الأولى

1439 هـ 2018م

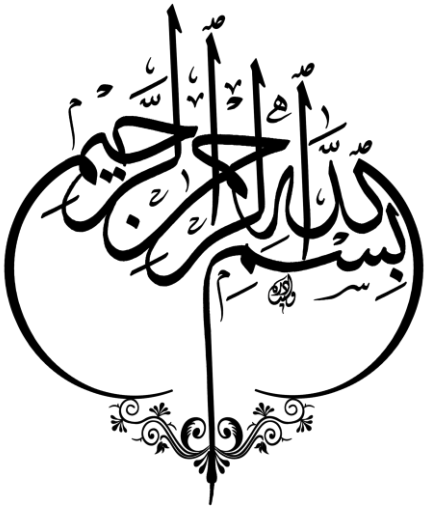
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وقرابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من علامات قوة الإيمان؛ الشوق إلى مواسم الطاعات والأزمنة الفاضلة، ومن علامات ضعف الإيمان؛ عدم الاكتراث لمجيئها! قال الله تعالى موصياً نبيه موسى عليه السلام: ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم:5].

فكم أقبلت النفحات، وزادت البركات وعظُمت الحرمات واشتاقت النفس للطاعات وارتفعت هممها لبذل القربات وهفت الأنفس لزيارة مكَّة ومِنىٍ ومزدلفة وعرفات؟

وكم أقبلت نسمات الأشهر الحُرُم التي حرم فيها القتال، وعظمت فيها الأعمال، وتضاعفت فيها الأجور، إنها أيام تتنوع فيها الطاعات، فيا خسارة من أسرف على نفسه بظلمها فيها، من هذه

الأيام المباركة : أول عشر من ذي الحجة المليئة بالطاعات، ويوم التروية يتروون بالحسنات، ويوم عرفة يباهي الله بعباده الملائكة، ويوم النحر عيدٌ وأضحية، وأيام التشريق: أيام أكل وشربٌ وذكرٌ لله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى في تعظيم الأشهر الحرم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة التوبة 26].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ) [رواه البخاري ومسلم].

إن الأشهر الحرم لها فضل زماني كما أن لمكة فضل مكاني عند الله، وقد سميت هذه الأشهر حرَماً لأمريْن: لتحريم القتال فيها إلا أن يبدأ العدو، و لأن حرمة انتهاك المحارم فيها أشد من غيرها.

ومن الأعمال العظيمة في الأشهر الحرم:

1- الحج: فأفعال الحج كلها تقع في ذي الحجة، ويرجع الحاج كيوم ولدته أمه.

2- عشر ذي الحجة: التي أقسم الله بها.

3- يوم عرفة: هنيئاً لمن عرفه، وهو أفضل أيام العشر، ويشرع لغير الحاج صيامه.

4- عيد الأضحى: ويشرع فيه الأضحية.

وللأسف في هذه الفترة يجترئ كثير من الناس على حرمات الله وربما سافروا للمعصية، وربما احتفلوا بأعياد غير المسلمين، بل قد يرتكبون عظائم الأمور.

فأين الصالحون عن سوق رب العالمين؟ سوق الطاعات والقربات؟ أين العباد من ذكرى رحلتَيْ الإسراء والمعراج؟ وما فيهما من الأسرار والدروس والعبر؟ ولماذا كان الإسراء ليلاً؟ وما هو السر في استفتاح جبريل أبواب السماء؟ وأين هم من شهر رجب الأصب؟ وقد سميّ

الأَصبّ لأن فيه تصبّ الرحمة الإلهية على الناس، وكيف يستقبلون الوافد الحبيب؛ شهر رمضان وشهر الخير والنصر القريب؟ فيه ليلة خير من ألف شهر، وجلُّ الانتصارات كانت في رمضان.

وعاشوراء يوم سراء.. يوم عبادة وذكر وشكر.. لأن الله تعالى نجَّى فيه نبيَّه وكليمه موسى عليه السلام من فرعون وجنوده، وقبله نجَّى الله نبيَّه نوحاً عليه السلام في السفينة فصامه موسى عليه السلام شكراً، وقبله صام نوح شكراً لله تعالى، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عاشوراء فقال: (يكفر السنة الماضية).

هذه المواضيع وغيرها كثير، بالإضافة إلى بعض الردود على قصص لا أصل لها، ولطائف لغوية، وتحريفات وتصحيفات مفسدة للمعاني، وبعض الأجوبة عن أسئلة مشهورة مثل: ما حكم الأعياد؟ وما عيد المسلمين؟ وماذا كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم في يوم العيد؟ ومتى تبدأ تكبيرات العيدين ومتى تنتهي؟

ثم كيف اعتنى الإسلام بأولي الضرر (المعاقين)؟

وكيف كان العلماء يصلحون؟

ولماذا اختار الله الغراب لتعليم ابن آدم؟

وما حكم اتكاء الخطيب على العصا أو السيف؟

وهل تجوز الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن نسي شيئاً؟

وهل يجوز نشر الرسائل التي تتوعَّد من لا ينشرها بالمصائب؟!

هذه الأسئلة وغيرها ستجدون بغيتكم في الإجابة عنها في هذا الكتاب الماتع، بأسلوب معاصر وموثق.

وأخيراً: أعاننا الله وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وعلى استغلال الأزمان الفاضلة، واستعملنا الله وإياكم في طاعته وختم لنا ولكم بالخيرات والمسرات وأرانا نصر أمتنا وعزها وسؤددها في القريب العاجل، والحمد لله رب العالمين.

بتاريخ: 11 ذو القعدة 1439 هـ
الموافق: 1 آب/أغسطس 2018م
جامعة أديامان – تركيا

د. محمد محمود كالو

الفصل الأول

مواسم الإيمان

نور أضاء .. فبدد الظلماء ..!

بينما الإنسانية نائمة نومة الغفلة، راقدة رقدة الجهالة، ضالة في صحراء الحياة، إذ فجَّر الفجْر نَهْر النهار، وسُلَّ سيف الفجر من غمد الظلام، وتعرّى الليل من ثوب الغلس، وأشرقت الأرض بنور ربها، فولد سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله وسلم..

نور أضاء فبدد الظلمـاء
والكون أصبح باسماً وضاء

يا نور أحمد في جلالك روعة
الله كرم نوره وأضـاء

تتبعثر الكلمات، وتتناثر الحروف، وتتيه العبارات، يحار العقل والفكر، ويخفى الوصف والذكر، ماذا تعبر عن الشمس في رابعة النهار، وعن القمر في جنح الظلام، وعن العلم في غمرات الجهل، وعن الحب في سيول القسوة، وعن الأمل في محيط اليأس، وعن الدنيا كلها .. الدنيا بأسرها في كوكبها..!

جعلت حياتك للزمان ربيعا
ومشى بشيرك في الأنام مذيعا

الله أكبر حين نادى قائلاً

ولدت أمينة للأنام شفيعا

في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، عزفت الدنيا نغمتها، ورقصت الأرض فرحاً بمقدم سيدها، وقد أضيئت الشام بقصورها، وأخمدت النار التي يعبدها المجوس، وسقطت أربعة عشر شرفة من ديوان كسرى..

في مثل هذا الشهر، رحم الله البشر بميلاد سيد البشر أبي الزهراء، وأشرف الأنبياء، وأصفى الأتقياء، وأرفع الأولياء، محمد صلوات الله وسلامه عليه..

بمحمدٍ دامت لنا الأفراح

وقلوبنا في ذكره ترتاح

فإذا تلونا ذكره وحديثه

دارت لنا بشرابه الأقداح

سلام عليك يا رسول الله ما برق نور في ظلماء، وتلألأ ضوء في سماء، وهطل طل في صحراء، ونبت زرع في بيداء .. سيدي أبا القاسم يا رسول الله .. صلوات الله وسلامه عليك..

في يوم مولدك الميمون ما طلعت
شمس على مثله فضلاً ولم تغبِ

محمد وخصال الحمد قاطبة
إليه نسبتها يا أكرم النسبِ

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد حامل العز في بني لؤي، وصاحب الطود المنيف في عبد مناف بن قصي، صاحب الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56].

فإن من صلى عليه مرة صلى الله بها عليه عشرة وبصلوات الله وملائكته يخرج العباد من الظلمات إلى النور قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب:43] فكلما أكثرنا من الصلاة عليه استنارت قلوبنا بنوره.

فطوبى لعبدٍ صلى عليه وسلَّمَ وقد تعلّق قلبه بحب حبيب الله واستطاب لسانه بذكر من قد رفع الله ذكره واستنارت بواطنه بنور

الاتباع يوصل إلى محبة الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:31].

فهل الجذع أوْلى بالحنين مِنّا إليه؟! وهل جبلُ أحُدٍ أحقُّ بالفرح مِنّا به؟! نحن الذين قد شرّفنا الله بأن جعلنا من أمته وخصّنا برحمته وكرّمنا بالانتساب لدعوته ورسالته، وقد اشتاق هذا الحبيب يوماً إلينا فقال: وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا..! فكيف يشتاقُ إلينا ولا نشتاقُ إليه؟!

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ:

(السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ. وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا. قَالُوا: أَوَ لَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ) [رواه مسلم].

يا سيدي يا رسول الله.. نبثُّ إليك في ذكرى يوم مولدك أشواقنا وآهاتنا.. أشواقنا التي هي من معين أشواقك إلى إخوانك الذين ما رأيتَهم ووددتَ رؤيتهم، ومن حرصك وحبك لهم، ومن خوفك ولهفتك عليهم.

وآهاتنا مما ألمَّ بأمَّتِك التي سَلَكتَ بها مسالكَ الهدى، وحذَّرتهَا من طرق الغواية والردى، وخِفْتَ عليها من كل أذى..

لكننا نعلم يقيناً أننا لمَّا هان علينا دين الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ هُنَّا على الله تعالى، وأصبحنا غثاء كغثاء السيل، بعد أن كنا جبالاً لا تزعزعه الأعاصير، وسلَّط الله علينا عدوّنا، فتداعوا علينا غيلان أصقاع الدنيا.. قتلاً وتشريداً ونهباً وسلباً واغتصاباً، اللهم رُدَّنا إلى ديننا رداً جميلاً يا رب.. وكل عام ونحن جميعاً إلى الله أقرب.

الإسراء والمعراج: حِكمٌ و أسرار

الإسراء في اللغة: مشتق من السُّرَى: السَّيرُ بِاللَّيْلِ يقال: سَرَى وأَسْرَى قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود:81] ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء:1].

قال أبو إسحاق في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء:1] معناه: سَيَّرَ عَبْدَه، يقال: أَسْرَيْت وسَرَيْت إذا سِرْتَ ليلًا، وإنما قال ﴿لَيْلًا﴾ وَإِنْ كَانَ السُّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ: للتأْكيد[1].

والعرب تقول: سرى فلان ليلاً إذا سار بعضه وسرى ليلة إذ سار جميعها، وإذا وقع السير في أول الليل يقال: أدلج"[2].

أما المعراج فمأخوذ من عرج في السلم: ارتقى، والمعراج: السلم ومنه ليلة المعراج، والجمع معارج ومعاريج، أيضا: المصاعد"[1].

1- الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محي الدين ميتو، طبعة دار الحديث القاهرة، 2006م.

2- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م.

يقول الراغب الاصفهاني[2]: العروج " ذهاب في صعود، قال تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ [المعارج:4]، وقال: ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر:14] والمعارج: المصاعد، قال تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: 3] وليلة المعراج سميت لصعود الدعاء فيها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10].

و من بلاغة القرآن الكريم اختصار حديث الإسراء في آية واحدة من حيث الزمان والمكان والمعطيات، فالله قادر على تسهيل الرحلة لعبده ورسوله- صلى الله عليه وسلم

الحكمة من الإسراء: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء:1].

والحكمة من المعراج: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم:18]، وفي الإسراء والمعراج علوم وأسرار ودروس وعبر.

فالإسراء والمعراج رحلتان متمايزتان، لم يُتَح التمييز الدقيق بينهما إلا في العصر الحديث، وبفضْل العلم الحديث وما حقَّق للبشرية من

1- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، صفي الرحمن المباركفوري، ط ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1436هـ،2015م.

2- المفردات للأصفهاني: 332 مادة عرج.

معجزات؛ فرحلة الإسراء رحلة أرضية أرضية، وبتعبير حربيٍ: هي رحلة من الأرض للأرض، أما رحلة المعراج، فرحلة سماوية.

ولقد كانت حادثة الإسراء والمعراج إيناسًا وتكريمًا وتشريفًا للنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– لتُخبره أنَّ الأرض إذا ضاقتْ في وقت، فإنَّ السَّماء تفتح أبوابَها لتستقبله، ولَئنْ آذاه بعضُ أهل الأرْض في وقت، فإنَّ أهل السَّماء يقِفون له مستقْبلين ومرحِّبين.

وحريٌّ بنا كلَّما قرأنا أو سمعنا عن حادثة الإسراء والمعراج – أن نتذكَّر أنَّ الصَّلاة فرضتْ في ليلة الإسراء والمعراج، فُرِضَت في تلك الليلة بأمْرٍ من الله – تعالى – وهو في السَّماء، أمَّا بقيَّة أوامر الإسلام، فقد نزل بها جبريل – عليه السَّلام – على محمَّد – عليه الصَّلاة والسلام – وهو في الأرض، وفي هذا دلالة على أهمِّيَّة هذا الركن من أرْكان الإسلام بعد الشهادتين، ولذلك كانت الصلاة معراج المؤمن، حيث يرْقَى بالنَّاس كلَّما تدلَّت بهم شهوات النفوس وأغراض الدُّنيا، فهي رحلة الأرْواح إلى الله كلَّ يوم وليلة خَمس مرَّات.

قال سيد قطب –رحمه الله تعالى–: "والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير تربط بين عقائد

التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين – صلى الله عليه وسلم – وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعاً"[1].

لماذا كان الإسراء ليلاً؟

قال ابن المنير: "إنما كان الإسراء ليلاً: لأنه وقت الخلوة والاختصاص عرفاً، ولأنه وقت الصلاة التي كانت مفروضة عليه في الليل، وليكون أبلغ للمؤمن في الإيمان بالغيب وفتنة للكافر، بالإضافة إلى أن الله تعالى أكرم أقواماً في الليل بأنواع الكرامات، كقوله في قصة ابراهيم: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ [الأنعام: 76]، وفي لوط: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: 81]، وفي موسى ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142]، وناجاه ليلاً وأخَّر إخراج قومه ليلاً في قوله ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾ [الدخان: 23]، واستجابة دعاء يعقوب

1- في ظلال القرآن، سيد قطب، أول سورة الإسراء: ج4 ص 2212.

فيه، وهو المراد في قوله: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: 98]، قال المفسرون: "أخَّره إلى وقت السحر من ليلة الجمعة"[1].

ولم تكن الرحلة في كل الليل، بل في جزء من الليل تمت حادثة الإسراء والمعراج؛ فضلاً أنها بالمنطق البشري لا تكفيها الشهور للإسراء فقط؛ فكيف بالمعراج التي تعني الانتقال من السماء الأولى إلى السماء السابعة ثم دخوله الجنة وعروجه إلى سدرة المنتهى ودنوه من رب الأرض والسماء؟

وفي جزء من الليل أرى الله حبيبَه ومصطفاه محمداً – صلى الله عليه وسلم – ما لم يخطر على بال.

وفي جزء من الليل أسرى الله محمداً صلى الله عليه وسلم لينفِّس عنه ويسليه ويخفِّف عنه ويذهب ما حَلَّ به من عنت قومه تكذيباً واستهزاءً وإيذاءً؛ فكأنها من الله منحة وأي منحة يعده بعدها لأحداث جسام تنوء بحملها الجبال ولا تتحملها إلا نفوس أعدها الله وهيأها لذلك، فالمنح تولد من رحم المحن، وبعد العسر يأتي اليسر، وبعد التعب يأتي الفوز وحصاد الخير.

1- الآية الكبرى للسيوطي، مرجع سابق بتصرف يسير جداً، ص119.

وفي جزء من الليل أناخ له البراق ليركبه منطلقاً به من مكة إلى بيت المقدس حيث صلى إماماً بإخوانه من الأنبياء والمرسلين.

أما السر في ربط البراق في الحلقة التي يربط بها الأنبياء فهو الأخذ بالأسباب، والأخذ بالأسباب غير قادح في التوكل والاعتماد على الله، لأن التوكل الصحيح إنما يكون بعد بذل السبب.

وفي جزء من الليل نتج عنها فريضة الصلاة التي تصل العبد بربه وتقويه على مشاق الحياة ومتاعب الدعوة والرسالة والتبليغ.

وتخصيص كليم الله موسى عليه السلام بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصلوات: لكون أمة موسى كلفت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم فأشفق موسى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك.

يؤخذ أيضاً من خطاب نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل التجربة وأنها قد تفوق المعرفة الكثيرة، فموسى قد جرب بنى اسرائيل وعالجهم كما قال، فنصح النبي– صلى الله عليه وسلم – بما خبر الناس به.

وفيه: بذل للنصيحة لمن يحتاج إليها ولو لم يستشر الناصح، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يستشر موسى، لكن موسى رأى ذلك واجباً عليه، يبدي النصيحة قبل أن يسألها، فأشار على النبي- صلى الله عليه وسلم- بما رآه خيراً.

وفي جزء من الليل نتج عنها مراسلته عليه الصلاة والسلام لملوك الأرض وأمرائها، يدعوهم للإسلام ويعلنها رسالة عالمية شاملة لا حدود لها من أرض وجنس ولون ولغة.

وفي جزء من الليل شقَّ صدره صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء تأهباً لمناجاة الباري جل جلاله، يقول ابن حجر- رحمه الله-:

"بل ثلاث مرات ولكل حكمة: فالأول كان في زمن الطفولة لينشأ على أكمل الأحوال من الحفظ من الشيطان، ثم كان عند البعث زيادة في إكرامه، ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي، في أكمل الأحوال من التطهير، ثم عند الإسراء ليتأهب للمناجاة" وقال أيضاً كلاماً رائعاً: "ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل، لتقع المبالغة في

الإسباغ لحصول المرة الثالثة، كما هي شرعته صلى الله عليه وسلم في طهارة الجمعة"[1].

وفي جزء من الليل التقى بإخوانه من الأنبياء والرسل وأقروا له بالنبوة والرسالة وأدرك منازلهم بعضهم من بعض؛ كما علم منزلته عليهم عند ربه.

والسر في استفتاح جبريل أبواب السماء:

يقول الإمام السيوطي – رحمه الله تعالى–: "لأن الأبواب كانت مغلقة، وإنما لم تهيأ له بالفتح قبل مجيئه – وإن كان أبلغ في الإكرام – لأنه لو رآها مفتَّحة لَظنَّ أنها لا تزال كذلك، ففعل ذلك ليعلم أن ذلك لأجله تشريفاً، ولأن الله أراد أن يطلعه على كونه معروفاً عند أهل السماوات أيضاً، لأنه قيل لجبريل لما قال: محمد: "أبعث إليه؟ ولم يقل: "ومن محمد؟ مثلاً"[2].

أما وصف الأنبياء للنبي بالصالح فقط؛ فلأن الصلاح صفة تشتمل خِلال الخير، ولذا كررها كل منهم عند كل صفة.

1– الآية الكبرى للسيوطي المرجع السابق بتصرف يسير جداً، ص117.
2– الآية الكبرى للسيوطي، ص112.

وفي جزء من الليل يدخل الجنة ويطلع على ما أعده الله لأوليائه من النعيم مما لم تراه الأعين ولم تسمع به الآذان وما خطر على قلب بشر؛ كما اطلع على النار وما فيها من الأهوال وما أعده الله للعصاة والمجرمين من العذاب الأليم.

وفي جزء من الليل دنا من ربه الودود فأعطاه وأرضاه كما وعده ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى:5].

وفي هذا الجزء من الليل نتج عنه ثبات من قد آمن به وارتداد من لم يكن إيمانه راسخاً واستحق أبو بكر لقب (الصِّدِّيق) بعد أن رَدَّ على المشككين في صدق هذه الحادثة وقد جاءه أبو جهل وقادة الكفر يطمعون في رِدَّتِه فقال لهم: إن كان قال ذلك فقد صدق إني لأصدقه في الخبر يأتيه من السماء أفلا أصدقه في دون ذلك؟

و في هذا الجزء من الليل كانت المعجزة الخالدة لمحمد صلى الله عليه وسلم والكرامة لأمته من بعده لتكون مصدراً ثقافياً تربوياً ودروساً وعبراً تتوارثها الأجيال جيلاً إثر جيل.

وفي هذا الجزء من الليل وصف الله حادثته بأبلغ وصف تستحقه هذه الفترة الزمنية القصيرة من حيث الزمن والكبيرة العظيمة البعيدة من حيث الأثر والتأثير والدلالة والمعنى؛ قال سبحانه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي

أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1].

فما أعظم هذه المنح، وما أكرم هذه العطايا، حقاً كانت رحلة الحفاوة والتكريم.

اللهم كما احتفيتَ بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، اغفر وارحم واجبر كسر أمته، وارفع عنها الغلا والوبا والربا، واجمع كلمتهم ووحِّد صفوفهم يا رب العالمين.

الأصَب شَهرُ رَجَب

اليوم حلَّ بنا شهر رجب ضيفاً كريماً وهو الشهر السابع من شهور السنة الهجرية وهو أحد الأشهر الحرم التي قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:36].

قال الإمام القرطبي . رحمه الله . في تفسيره: «خَصّ الله تعالى الأشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفًا لها، وإن كان منهيًا عنه في كل الزمان، وعلى هذا أكثر أهل التأويل، أي: لا تظلموا في الأربعة أشهر الحرم أنفسكم»[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته فقال: «أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا،

1- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 135/8.

مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ »[1].

قال الحافظ ابن كثير . رحمه الله . في تفسيره: «فإنما أضافه – أي رجب– إلى مُضر ليُبين صحة قولهم في رجب إنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان، لا كما تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم، فَبَيَّنَ صلى الله عليه وسلم أنه رجب مضر لا رجب ربيعة، وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سرد وواحد فرد، لأجل أداء مناسك الحج والعمرة فحُرِّم قبل أشهر الحج شهرًا وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحُرِّم شهر ذو الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون بأداء المناسك، وحُرِّم بعده شهرًا آخر وهو المحرم؛ ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحُرِّم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتماد به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنًا»[2].

وقال الحافظ ابن رجب . رحمه الله .: «وأما إضافته – أي رجب – إلى مُضَر فقيل: لأن مضر كانت تزيد في تعظيمه واحترامه، فنُسِب

1– رواه أحمد في المسند برقم: 20386.

2– تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار طيبة: 148/4.

إليهم لذلك. وقيل: بل كانت ربيعة تحرِّمُ رمضان وتُحرِّمُ مُضَر رجبًا، فلذلك سمَّاه رجبَ مُضَر وحقَّق ذلك بقوله: «الذي بين جمادى وشعبان»[1]، ومُضَر وربيعة: قبيلتان من قبائل الجاهلية قديمتان.

ورجب: «شهر سموه بذلك لتعظيمهم إياه في الجاهلية عن القتال فيه، ولا يستحلِّون القتال فيه، والترجيب التعظيم، والراجب المعظم لسيده»[2].

وذكر بعض العلماء أن لشهر رجب أربعة عشر اسمًا: «شهر الله، رجب، رجب مضر، منصل الأسنة، الأصم، منفس، مطهر، مقيم، هرم، مقشقش، مبريء، فرد، الأصب، مُعلَّى، وزاد بعضهم: رجم، منصل الآل وهي الحربة، منزع الأسنة»[3].

وشهر رجب سميّ الأَصبّ لأن فيه تصبّ الرحمة الإلهية على الناس.

وكل هذه الأسماء التي أطلقت على شهر رجب، تدل على تعظيم الكفار لهذا الشهر، وربما كان تعظيم مضر لشهر رجب أكثر من تعظيم غيرهم له، فلذلك أضيف إليهم، ومن القواعد المقررة عند أهل

1- لطائف المعارف لابن رجب::281.

2- القاموس المحيط، ولسان العرب، مادة: رجب.

3- لطائف المعارف لابن رجب:281.

اللغة أن كثرة مسميات الشيء دليلٌ على فضله ومنزلته؛ لأن في كل اسمٍ معنى غير موجود في الأسماء الأخرى.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل رجب يقول: « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ»[1].

•ولقد اختلفت أنظار العلماء في صوم شهر رجب، فمنهم من استحبه لأمرين:

الأول: ما ورد من الترغيب العام في الصيام، وهذا بابه واسع، وأدلته كثيرة جداً.

الثاني: ما ورد من الترغيب الخاص في صيام الأشهر الحرم، ورجب منها بالاتفاق، وكذا ما ورد في فضل صيام رجب بخصوصه، وإلى استحباب صيام الأشهر الحرم عموماً ورجب على وجه الخصوص ذهب الجمهور من العلماء، واستدلوا على ذلك بعدة أحاديث منها:

حديث أبي مجيبة الباهلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «صم من الحُرُم واترك، صم من الحرم واترك» والحديث رواه أحمد وأبو داود، واللفظ له، ولفظ أحمد: «فمن الحرم وأفطر».

1- رواه البزار في مسنده برقم: 6496.

ومن أهل العلم من كره صوم شهر رجب، ومن أولئك الحنابلة، واستدلوا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما، ونهي عمر الناس عن صيامه، أما الأشهر الحرم، فوافق الحنابلة الجمهور في استحباب صومها، وتنزول كراهة إفراد صيام رجب عند الحنابلة بفطر يوم فيه.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا جلياً أن المسألة خلافية بين العلماء، ولا يجوز أن تكون من مسائل النزاع والشقاق بين المسلمين، بل من قال بقول الجمهور من العلماء لم يثرَّب عليه، ومن قال بقول الحنابلة لم يثرَّب عليه.

وأما صيام بعض شهر رجب، فمتفق على استحبابه عند أهل المذاهب الأربعة.

قال ابن حجر: «لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه.. حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ، رويناه عنه بإسناد صحيح، وكذلك رويناه عن غيره»[1].

1- تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب، لابن حجر:6.

•ومن أمثلة العرب: «عِشْ رَجَباً تَرَى عَجَباً»، وقصة هذا المثل الجاهلي أن أهل الجاهلية كانوا يؤخرون مظالمهم إلى رجب كونه من الأشهر الحرم عندهم، ثم يأتون الكعبة فيدعون الله فلا تتأخر عقوبة من ظلمهم، فكان المظلوم يقول: «عِشْ رَجَباً تَرَى عَجَباً» ثم صار يضرب به المثل في تحوُّل الدهر وتقلّبه وكثرة عجائبه.

•حوادث وقعت في شهر رجب:

1- الهجرة الأولى إلى الحبشة وكانت في السنة الخامسة من المبعث بقيادة سيدنا عثمان رضي الله عنه.
2- سرية عبدالله بن جحش الاسدي رضي الله عنه.
3- غزوة تبوك في غرة الشهر 9هجرية.
4- الرسول صلى الله عليه وسلم ينعى النجاشي للمسلمين سنة التاسعة الهجرية.
5- فتح دمشق السنة 14هجرية 635م.
6- معركة الزلاقة اسم يطلق على واد فسيح قرب مدينة بطليوس الاندلسية، وكانت فيه المعركة بقيادة يوسف بن تاشفين ومن معه من حكام الاندلس المسلمين وفي الجهة الصليبية بقيادة الفونسو السادس 12رجب 479هجرية -1086/10/32م.

7- استرداد بيت المقدس ودخول المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي (القدس الشريف يوم الجمعة 27رجب 583هجرية -1187/10/2م.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يعيننا على طاعته واستغلال مواسم الخير، وأخيراً نقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَب وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ».. آمين يا رب العالمين.

الرسول صلى الله عليه وسلم في العيد

كلٌّ له أعياده الخاصة: فطالب البكالوريا يفرح بالنجاح، والمرأة تفرح بالحمل بالذكر دون الأنثى، والسجين يفرح حين يفرج عنه، أما المسلم فعيده الحقيقي إذا وفِّق في صيام رمضان وقيامه، ولو دققنا في الأعياد الإسلامية لوجدناها تأتي عقِب عبادة الركن الرابع والخامس من أركان الإسلام: عقب الصيام، وعقب الحج، ومن سمات العيد الفرح، فما الموضوع الذي ينبغي أن يُفْرِحنا في العيد، إن عامَّة الناس يفرحون بالعطلة، وأكل الثريد، ولبس الجديد، وفعل ما يريد، من الزيارات، واللقاءات، والسهرات، والحفلات، لكن المعنى الإسلامي الحقيقي للعيد هو حينما يؤدي المسلم عبادة كبرى من عبادات الإسلام، ويوفَّق إلى أدائها، وإلى قطف ثمارها، حينها ينبغي له أن يفرح، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[سورة يونس:58].

ولكن العيد أصبح عند بعض الناس (فلكلور) أو عادات متوارثة، فتجده غير صائم ولكنه يقوم لطقوس العيد، فيأتي بالحلوى إلى البيت، ويزور الأحباب، ويلبس جديد الثياب؛ وهو لم يصُم رمضان

إطلاقاً، ينبغي على المسلم أن يفهم معنى الفرح في العيد، والحقيقة كما قال عليه الصلاة والسلام: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ)[1] بل إن النبي عليه الصلاة والسلام ربما استنبط هذا من قول الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:185].

والشكر دائماً يأتي بعد العطاء، ومعنى ذلك أن الله عزَّ وجل أكرمنا بصيام رمضان، وأكرمنا بقيامه والتقرب إليه، شعرنا حينها أننا في نعمةٍ كبرى، عندئذٍ ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة:185].

فماذا كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم في يوم العيد؟

كان عليه الصلاة والسلام يلبس أجمل ثيابه ويتطيب في العيد، فعن الحسن السبط [أي ابن ابنته] رضي الله عنه قال: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِيدَيْنِ أَنْ نَلْبَسَ أَجْوَدَ مَا نَجِدُ وَأَنْ نَتَطَيَّبَ بِأَجْوَدِ مَا نَجِدُ وَأَنْ نُضَحِّيَ بِأَسْمَنِ مَا نَجِدُ) [رواه الحاكم].

وكان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةٌ يلبسها للعيدين والجمعة خاصَّة.

1- رواه البخاري (1805) ومسلم (1151).

وكان يفطر على تمرات قبل الخروج للفطر دون الأضحى، فيسنُّ أكل تمرات وتراً قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر، لأننا بذلك نمتثل أمر الله الذي حرّم إفطار رمضان، كما حرّم صيام العيد.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمراتٍ ويأكلهن وتراً) [رواه البخاري] أي إما واحدة، أو ثلاثة، أو خمساً، وهكذا.

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بإخراج الزكاة قبل الغدو للصلاة يوم الفطر.

(وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ إِلَى الْعِيدِ مَاشِيًا وَيَرْجِعُ مَاشِيًا) [رواه ابن ماجه] فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي العيدين في المصلَّى، ولم يصلِ العيد بمسجده إلا مرةً واحدة لعذر المطر، عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أنه أصابهم مطر في يوم عيد، فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد في المسجد) [رواه أبوداود].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العيد من غير أذان ولا إقامة، فعن جابر بن سمرة قال: (لم يكن يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقام له في العيدين) [رواه أحمد].

وذهب أكثر أهل العلم إلى استحباب الذهاب إلى العيد من طريقٍ، والرجوع إلى البيت من طريقٍ آخر، والحكمة أن تلتقي بأكبر عددٍ ممكنٍ من إخوتك المؤمنين، وأن تسلم عليهم، وأن يكثر لقاؤك مع إخوانك المؤمنين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى العيد يرجع في غير الطريق الذي خرج فيه) [رواه أحمد ومسلم والترمذي].

كان صلى الله عليه وسلم يخرج إلى العيد مكبراً مهللاً شاكراً الله تعالى على أنعمه، ممتثلاً قول ربه تبارك وتعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:185].

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من العيدين رافعاً صوته بالتهليل والتكبير، فيأخذ طريق الحدادين حتى يأتي المصلى، فإذا فرغ رجع على الحذائين حتى يأتي منزله [رواه البيهقي].

ثم بعد صلاة العيد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الخطبة وهي سنة والاستماع كذلك إليها، فعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال:

(كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلَّى وأول شيءٍ يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف، فيقوم مقابل الناس والناس جلوسٌ على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم) [متفق عليه].

ومن سنة الأعياد استحباب التهنئة بالعيد، فعن زبير بن نفير رضي الله عنه قال: (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعضٍ: تقبَّل الله منا ومنك)[1].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: إسناده حسن. أي: تقبل الله منا ومنك الصيام أو تقبل الحج.

عنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، قَالَ: (لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عِيدٍ، فَقُلْتُ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ ، فَقَالَ: "نَعَمْ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ ".) [رواه البيهقي].

وجمهور العلماء على أن التكبير في عيد الفطر يبدأ من غروب الشمس ليلة العيد إلى صعود الخطيب إلى المنبر.

1- السنن الكبرى للبيهقي.

ويكون التكبير في الفطر مطلقاً غير مقيد، فيكبر في السوق وفي الطريق وفي البيوت والمساجد ونحو ذلك.

وأما الأضحى فالتكبير فيه مطلق ومقيد، فالمقيد يكون دبر الصلوات، من صلاة الصبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، والمطلق في جميع الأوقات ولا يخص بمكان، فيكبر في السوق وفي الطريق ونحو ذلك، وزمنه من أول هلال ذي الحجة إلى آخر أيام التشريق، لقوله تعالى : ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج:28].

والأيام المعلومات: هي أيام العشر، والمعدودات: هي أيام التشريق، وأيام التشريق هي: ثلاثة أيام بعد يوم الأضحى.

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا صياماً مقبولاً، وعيداً سعيداً، وأن يفرحنا بطاعته، فهي أساس الفرحة في العيد.

الوافد الحبيب.. شهر الخير والنصر القريب

يستقبل المسلمون بعد ساعات وافداً حبيباً، طالما انتظرته القلوب المؤمنة، وتشوقت لبلوغه النفوس الزاكية، وتأهبت له الهمم العالية، وافد قد رفع الله شأنه، وأعلى مكانه، وخصه بمزيد من الفضل والكرامة، وجعله موسما عظيما لفعل الخيرات، والمسابقة بين المؤمنين في مجال الباقيات الصالحات، وافد تواترت النصوص والأخبار بفضله، منوهةً بجلالته ورفعة قدره، ومعلنة عن محبة الله تعالى له وتعظيمه لشأنه.

وافد قد يكلفك اليسير، ولكنه يجلب لك الخير الكثير والثواب الجزيل والأجر الكبير، إن أنت عرفت قدره، وأحسنت استقباله، وأكرمت وفادته، واستثمرته فيما يقربك إلى الله تعالى ويرفع درجاتك عنده.

إنه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، إنه سيد الشهور وأفضلها على الدوام، إنه شهر القرآن والصيام والقيام، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتصفد فيه ومردة الشياطين والجان.

شهر المغفرة والرحمة والعتق من النار، شهر الصبر والمواساة، شهر التكافل والتراحم، شهر التناصر والتعاون والمساواة، شهر الفتوحات والانتصارات، شهر ترفع فيه الدرجات، وتضاعف فيه الحسنات، وتكفر فيه السيئات، شهر فيه ليلة هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها فهو المحروم.

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولاً وفعلاً وزادك فاتخذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوَّهَ نادماً عند الحصاد

فهنيئا لكم أيها المسلمون برمضان، وأسعدكم الله بشهر الصيام والقيام، ويا بشرى لمن تعرض فيه لنفحات الله، ويا حبذا جاهد نفسه في طاعة الله، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69].

من فضائل الصيام، وعظيم مكانته عند الله تعالى ما يأتي:

أولاً : أن الله عز وجل أوجبه على جميع الأمم، وأتباع الشرائع والملل، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:183].

ولولا أنه عبادة محبوبة لله، عظيمة القدر عنده، لا غِنى للخلق عن التعبد بها، وعما يترتب عليها من الثواب والجزاء، وما يحصل لهم من المصالح الكثيرة في الدنيا والآخرة ما فرضه الله على جميع الأنبياء وأتباعهم على مر العصور، فهو من الشعائر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان.

وفي قوله عز وجل: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فائدتان مهمتان:

الأولى: أن في هذا تنشيطاً للمؤمنين وتسهيلاً للصيام عليهم، فإن المسلم إذا عرف أن هذا درب سلكه قبله الصالحون من الأنبياء وأتباعهم، فإنه يفرح بذلك، وتنبعث له همته، ويستسهل الصيام ولا يستثقله.

الثانية: أن هذا يشعر المؤمن بأنه جزء من تلك الشجرة المباركة، التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وينتسب إليها الأخيار الأطهار من الأنبياء وأتباعهم على مر العصور وكر الدهور، فتبتهج نفسه بمشاعر الغبطة والسعادة، ويمتلئ قلبه بالعزة والكرامة، والشعور بعظم منة الله تعالى عليه، حيث هداه لهذا الخير، وجعله عضواً في هذه

الشجرة المباركة، التي ينتسب إليها صفوة عباد الله من الأنبياء وأتباعهم.

ثانياً : أن الصيام من أكبر أسباب التقوى وتقوية شجرتها في القلب، كما قال الله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فبين أن الغاية العظمى من الصيام هي تحقيق التقوى والمراقبة لله تعالى.

ثالثاً : أن الصيام جنة من النار، فقد روى الإمام أحمد بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ) [أخرجه أحمد في المسند برقم (24405].

رابعاً : أن الصيام من أعظم أسباب دخول الجنة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ صَلَّى صَلاةً ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) [رواه أحمد].

بل أخبر صلى الله عليه وسلم أن في الجنة باباً خاصاً للصائمين يقال له: (الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ) والحديث متفق عليه.

خامساً : أن الصيام كفارة للذنوب، فإن الحسنات يكفرن السيئات، والصيام من أعظم الحسنات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود:114]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) متفق عليه.

سادساً : أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة، ففي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ: الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ فَيُشَفَّعَانِ) [رواه أحمد والحاكم].

سابعاً : ما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ

لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطره ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) [رواه البخاري].

وقد اشتمل هذا الحديث العظيم على فضائل كثيرة للصيام، منها:

1. أن الله تعالى اختص الصوم لنفسه من بين سائر الأعمال فقال: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي" وذلك لشرفه عنده، ومحبته له، وتحقق الإخلاص فيه أكثر من غيره غالباً، ولهذا قال الله تعالى: "يدع شهوته وطعامه من أجلي".

وتظهر فائدة هذا الاختصاص في وقت أحوج ما يكون فيه العبد إلى مغفرة الله ورحمته، قال سفيان بن عيينة: "إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده، ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى إذا لم يبق إلا الصوم، يتحمل الله عنه ما بقي من المظالم، ويدخله الجنة بالصوم".

2. أن الله تعالى قال في الصوم: "وأنا أجزي به" فأضاف الجزاء إلى نفسه دون تحديد الجزاء، فما ظنكم بأكرم الأكرمين، والعطية على قدر معطيها، كما أن الصيام يتضمن أنواع الصبر كلها: من الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، والصبر على أقداره المؤلمة من

الجوع والعطش، وضعف البدن، فكان الصائم من الصابرين، وقد قال الله تعالى: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب".

3. أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، والخلوف: هو الرائحة التي تنبعث من المعدة عند خلوها من الطعام، وهي رائحة مستكرهة عند الناس، ولكنها لما كانت من آثار طاعة الله كانت عند الله تعالى أطيب من رائحة المسك.

4. أن الصوم سبب لسعادة العبد في الدارين، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه".

أما فرحه عند فطره: فهو نموذج للسعادة الحقيقية التي يجدها المؤمن في الدنيا بسبب طاعته لمولاه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه:123] فضمن الله لمن اتبع هداه؛ تمام الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة.

وتأتي فرحة الصائم عند فطره من جهتين:

أ ـ أنه يفرح بما منَّ الله به عليه من الهداية للإسلام الذي حرم منه كثير من الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ

بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]، ويفرح بالتوفيق للطاعة والإعانة عليها، وإكمال صيام ذلك اليوم.

ب . أنه يفرح بما أباح الله له من تناول المفطرات التي كانت محرَّمة عليه في النهار، فيتناولها وهو مشتاق لها، ولهذا كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند الإفطار: (اللهمَّ لك صمتُ وعلى رِزقِك أفطرتُ) [أخرجه أبو داود مرسلاً وله شواهد يتقوى بها]. وروى أبو داود أيضا بإسناد حسن أن النبي – صلى الله عليه وسلم- كان إذا أفطر قال: (ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ).

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لصومه، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.. وكل عام وأنتم بخير وسعادة.

رمضـان شـــهـر القـرآن: ومدرسة سباق، وأخلاق، وأرزاق

فتحت جامعات الأخلاق قاعاتها، وأكاديميات الإيمان أبوابها، ومدارس الصيام صفوفها، ورياض الذكر بدأت في استقبال زوارها، فدخل العبَّاد والزهاد وأهل الجهاد، من الصائمين والقائمين وقراء القرآن، والمنفقين والقانتين والركع السجود، ليجمعوا أمرهم، ويغسلوا أدرانهم، ويطهروا أجسادهم، ويرمضوا ذنوبهم، ويرضوا ربهم، ويسعدوا بدينهم في موسم الطاعات ومنهل الخيرات.

إن شهر رمضان فرصة الزمان، وشهر الكتب السماوية والقرآن قبل أن يكون شهر الصيام، قال الله تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: 185].

فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان). [رواه الطبراني في "الكبير"، وأحمد في المسند].

وللقرآن في رمضان مزايا خاصة، فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (كان رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) [متفق عليه].

وقرن النبي صلى الله عليه وسلم جامعاً بين الصيام والقرآن وذكر أنهما يشفعان للعبد يوم القيامة، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ؛ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ).[أخرجه أحمد في المسند].

وها هي الأيام تتوالى والليالي تتسارع، الزمن يدور والحياة تسير، من عام إلى عام تنقل الإنسان وتحمل لنا البشرى بقدوم شهر رمضان، تزيد الصائم من الإيمان وتدفعه إلى البر والاحسان، و تأخذه إلى الرحمة والغفران وترشده إلى العتق من النيران..

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا وَحَضَرَ رَمَضَانُ: (أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرُ بَرَكَةٍ ، فِيهِ خَيْرٌ يُغَشِّيكُمُ اللَّهُ فِيهِ، فَتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ، وَتُحَطُّ الْخَطَايَا، وَيُسْتَجَابُ فِيهِ الدُّعَاءُ، فَيَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ، وَيُبَاهِي بِكُمْ مَلائِكَتَهُ، فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مِنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) [مسند الشاميين للطبراني: رقم 2196].

ويقول الحسن البصري رحمه الله: إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا! فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون! ويخسر فيه المبطلون!

نعم فالجنة مفتحة، والنيران مغلقة، والشياطين مصفدة، والحسنات مضاعفة، نفحات يجب أن نستعد لها ورحمات يجب أن نتأهب لها، فالإنسان لا يقبل على حدث إلا ويستعد له؛ فالطالب حين يقترب الامتحان تراه يستعد، والمقبل على زواج تراه يستعد، والذي يبغي سفراً يستعد له، فالاستعداد أمر فطري، وجميع المسلمين يستعدون لدخول شهر رمضان من العام إلى العام.

فكم نعرف أناسًا كانوا معنا في رمضان الماضي وليسوا معنا في عامنا هذا، وكم ممن أمل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله فصار قبله إلى ظلمة القبر:

كم كنتَ تعرف ممن صام في سلف من بين أهل وجيران وخلان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم حياً فما أقرب القاصي من الداني

واسمع إلى معلى بن الفضل وهو يقول: كانوا "يعني الصحابة رضوان الله عليهم يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم".

وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم: "اللهم سلمني إلى رمضان، اللهم سلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً".

والدعاء ببلوغ رمضان، والاستعداد له سنة عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فقد روى أحمد والطبراني عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه كان إذا دخل رجب قال: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ، وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ).

فإذا جاء رمضان دعوا الله تعالى: "اللهم بلغنا ليلة القدر"، فإذا جاءت ليلة القدر سألوا النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءت ليلة

القدر ماذا نقول فيها، كما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) [قال الترمذي: حديث حسن صحيح].

كيف لا وهو شهر العفو! والعفو من الأعمال التي أجرها على الله، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشورى:40] فلم يحدد الأجر والثواب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ، وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ :إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) [رواه البخاري ومسلم].

وعندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة منتصرًا، جلس صلى الله عليه وسلم في المسجد، والمشركون ينظرون إليه، وقلوبهم مرتجفة خشية أن ينتقم منهم، أو يأخذ بالثأر قصاصًا عما صنعوا به وبأصحابه. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟) قَالُوا :خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: (اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ) [سيرة ابن هشام].

وقال ابن رجب في كتابه (لطائف المعارف): "وعامة صيام الناس لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي". يقول هذا وهو ابن القرن الثامن الهجري، فكيف بزماننا نحن؟!

وقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى: "إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ، وَدَعْ عَنْكَ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ، وَلا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَوَاءً "؟

وطلب أحد الصالحين من خادم له أن يحضر له الماء ليتوضأ، فجاء الخادم بماء، وكان الماء ساخنًا جدًّا، فوقع من يد الخادم على الرجل، فقال له الرجل وهو غاضب: أحرقْتَني، وأراد أن يعاقبه، فقال الخادم: يا مُعَلِّم الخير ومؤدب الناس، ارجع إلى ما قال الله تعالى، قال الرجل الصالح: وماذا قال تعالى؟! قال الخادم: لقد قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ قال الرجل: كظمتُ غيظي قال الخادم: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال الرجل: عفوتُ عنك، قال الخادم: ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال الرجل: أنت حرٌّ لوجه الله!

إن الصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، والصبر من الأعمال التي أجرها بلا حساب!

قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: 10].

قال العلماء: يغرف لهم من الحسنات غرفاً.

والصائم يصبر على الجوع والعطش وحقه من زوجته في نهار رمضان، ويصبر على الطاعة فيصلي ويزكي ويقرأ القرآن ويصل الرحم، ويصبر عن المعصية فلا يرتكبها، والصيام نفسه من الأعمال التي أجرها على الله وحده .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) [رواه الشيخان] لم يحدد الأجر.

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ثُمَّ نَادَى الثَّانِيةَ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ" قَالُوا: وَمَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ:"الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ فَقَامَ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ) [البيهقي في شعب الإيمان].

فالصوم إذن عفو وصبر، مضمار سباق، وجامعة أخلاق، وفوق كل ذلك سعة في الأرزاق حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم عن شهر رمضان: (وَشَهْرٌ يُزَادِ فِي رِزْقِ الْمُؤْمِنِ فِيهِ) [رواه ابن خزيمة في صحيحه].

أخي الصائم: إن الصائم في ديار المسلمين حالياً في حاجة ماسة لهذا السباق، وهذه الأخلاق، وخاصة بعد انتشار الظلم والقمع وازدياد الفقر والأذى، وأن يكون العفو في موضعه الصحيح؛ لا يجرح كرامة مظلوم؛ ولا يسوغ لظالم؛ ولا يمهد لطاغية؛ ولا يمرر لمستبد، وأن يكون الصبر صبر الاستعلاء لا صبر الاستسلام، صبر النهوض لا صبر القعود، صبر العمل والأمل لا صبر الخمول والكسل، فصوموا واصبروا واصفحوا وتسامحوا وتصالحوا؛ تجبروا وتصحُّوا وترزقوا وتُنصروا وتفلحوا.

اللهم تقبل منا الصيام والقيام وقراءة القرآن، وأدخلنا الجنة من باب الريان، وأعتق رقابنا من النيران، يا أرحم الراحمين.. آمين.

عاشوراء .. يوم سرَّاء لا بكاء

غداً الاثنين يوافق اليوم العاشر من شهر الله المحرم (يوم عاشوراء) وقد اتخذه الشيعة يوم عزاء وبكاء، فما يفعله الشيعة في عاشوراء من ضرب الصدور ، ولطم الخدود ، وضرب السلاسل على الأكتاف، وشج الرؤوس بالسيوف وإراقة الدماء، محدث لا أصل له في الإسلام.

فإن هذه أمور منكرة نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنه لم يشرع لأمته أن تصنع شيئاً من ذلك أو قريباً منه، لموت عظيم، أو فقد شهيد، مهما كان قدره ومنزلته.

وقد استشهد في حياته صلى الله عليه وسلم عدد من كبار أصحابه الذين حزن لفقدهم كحمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهم جميعاً؛ فلم يفعل شيئاً مما يفعله هؤلاء، ولو كان خيراً لسبقنا إليه صلى الله عليه وسلم والصحابة الأطهار.

ونبي الله يعقوب عليه السلام لم يضرب صدراً، ولم يخمش وجهاً، ولم يُسِل دماً، ولا اتخذ يوم فقد ابنه نبي الله يوسف عليه السلام عيداً ولا مأتماً، وإنما كان يذكر حبيبه وغائبه، فيحزن لذلك ويغتم، وهذا

مما لا ينكر على أحد، وإنما المنكر هو هذه الأعمال الموروثة عن الجاهلية، التي نهى عنها الإسلام.

وقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ).

فهذه الأعمال المنكرة التي يعملها الشيعة في يوم عاشوراء لا أصل لها في الإسلام، لم يعملها النبي صلى الله عليه وسلم لأحد من أصحابه، ولا عملها أحد من أصحابه لوفاته أو لوفاة غيره من بعده، مع أن المصاب بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من موت الحسين رضي الله عنه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

"فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله – أي الحسين– رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنعٌ ورياءٌ، وقد كان أبوه أفضل منه، فقتل وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قتل يوم الجمعة

وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قتل وهو محصورٌ في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين ... وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه علي بن الحسين عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَتَذَكَّرُهَا وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا، فَيُحْدِثُ لَهَا اسْتِرْجَاعًا، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ يَوْمٍ أُصِيبَ بِهَا) [رواه الإمام أحمد وابن ماجه]"[1].

1- البداية والنهاية لابن كثير:221/8.

هذه الأعمال المنكرة يشجعها أعداء الإسلام، ليتوصلوا بها إلى مقاصدهم الخبيثة لتشويه صورة الإسلام وأهله، وفي هذا يقول موسى الموسوي في كتابه : "الشيعة والتصحيح":

"ولكن الذي لا شك فيه أن ضرب السيوف على الرؤوس، وشج الرأس حداداً على "الحسين" في يوم العاشر من محرم تسرب إلى إيران والعراق من الهند، وفي إبان الاحتلال الإنجليزي لتلك البلاد، وكان الإنجليز هم الذين استغلوا جهل الشيعة وسذاجتهم وحبهم الجارف للإمام الحسين فعلموهم ضرب القامات على الرؤوس، وحتى إلى عهد قريب كانت السفارات البريطانية في طهران وبغداد تمول المواكب الحسينية التي كانت تظهر بذلك المظهر البشع في الشوارع والأزقة، وكان الغرض وراء السياسة الاستعمارية الإنجليزية في تنميتها لهذه العملية البشعة واستغلالها أبشع الاستغلال هو إعطاء مبرر معقول للشعب البريطاني وللصحف الحرة التي كانت تعارض بريطانيا في استعمارها للهند ولبلاد إسلامية أخرى، وإظهار شعوب تلك البلاد بمظهر المتوحشين الذين يحتاجون إلى قيِّم ينقذهم من أودية الجهل والتوحش، فكانت صور المواكب التي تسير في الشوارع في يوم عاشوراء وفيها الآلاف من الناس يضربون بالسلاسل على ظهورهم ويدمونها بالقامات والسيوف على رؤوسهم ويشجونها تنشر في

الصحف الإنجليزية والأوربية، وكان الساسة الاستعماريون يتذرعون بالواجب الإنساني في استعمار بلادٍ تلك هي ثقافة شعوبها ولحمل تلك الشعوب على جادة المدنية والتقدم.

وقد قيل إن "ياسين الهاشمي" رئيس الوزراء العراقي في عهد الاحتلال الإنجليزي للعراق عندما زار لندن للتفاوض مع الإنجليز لإنهاء عهد الانتداب قال له الإنجليز:

نحن في العراق لمساعدة الشعب العراقي كي ينهض بالسعادة وينعم بالخروج من الهمجية، ولقد أثار هذا الكلام " ياسين الهاشمي " فخرج من غرفة المفاوضات غاضباً غير أن الإنجليز اعتذروا منه بلباقة ثم طلبوا منه بكل احترام أن يشاهد فيلماً وثائقياً عن العراق، فإذا به فيلم عن المواكب الحسينية في شوارع النجف وكربلاء والكاظمية تصور مشاهد مروعة ومقززة عن ضرب القامات والسلاسل، وكأن الإنجليز قد أرادوا أن يقولوا له: هل إن شعباً مثقفاً لم يحظ من المدنية بحظ قليل يعمل بنفسه هكذا؟! " انتهى.

وقال الموسوي أيضاً في (220/8) :

"وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدبادب – أي الطبول – تضرب ببغداد ونحوها من

البلاد في يوم عاشوراء، ويُذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثيرٌ منهم لا يشرب الماء تلك الليلة موافقةً للحسين؛ لأنه قتل عطشان ثم تخرج النساء حاسراتٍ عن وجوههن ينحن ويلطمنَ وُجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة، والهتائك المخترعة، وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية، لأنه قتل في دولتهم.

وقد عاكس الرافضةَ والشيعة يوم عاشوراء النواصبُ من أهل الشام، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويغتسلون ويتطيبون ويلبسون أفخر ثيابهم ويتخذون ذلك اليوم عيدا يصنعون فيه أنواع الأطعمة، ويظهرون السرور والفرح، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم " انتهى.

وفي الحقيقة حينما أحدث أولئك الحزن، أحدث هؤلاء السرور، فصاروا يستحبون في يوم عاشوراء الاكتحال والاغتسال والتوسعة على العيال وإحداث أطعمة غير معتادة، وكل هذا ليس من الإسلام في شيء، ولم يستحبَّ أحدٌ من أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم لا هذا ولا ذاك.

وإنما يوم عاشوراء يوم سراء فلأن الله تعالى نجى فيه نبيه وكليمه موسى عليه السلام من فرعون وجنوده، وقبله نجى الله نبيه نوحاً عليه السلام في السفينة فصامه موسى عليه السلام شكراً، وقبله صام نوح شكراً لله تعالى.

عاشوراء .. يوم عبادة وذكر وشكر

يوم الاثنين القادم يوافق اليوم العاشر من محرم (يوم عاشوراء) وهو يوم تذكير لأهل الأرض عامة وللمؤمنين خاصة، بقرب نصر الله لأوليائهِ وإن حوربوا وقتلوا أو ضيق عليهم واستضعفوا، وخذلانه – تعالى – لأعدائهِ وإن طَغَوا وَعَلَوا وَتكبروا، وهذا يجدد في النفوس الأَمل، ويدعوها للبحث عن أسباب النصر والعمل بها، ومن أهمها نصر دين الله، وإقامته في النفوس، وتعليق القلوب بالله والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه.

أخرج البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى) – زاد مسلم في روايته: (شكراً لله تعالى فنحن نصومه) وللبخاري في رواية أبي بشر (ونحن نصومه تعظيماً له)– قَال: (فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ. فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ) في رواية مسلم: (هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرَّق فرعون وقومه".

وأخرج البخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ).

ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أن عاشوراء في هذا الحديث هو اليوم العاشر من المحرم ، وممن قال ذلك مالك وأحمد، وهذا ظاهر الأحاديث ومقتضى اللفظ.

فلم يكن صيامه صلى الله عليه وسلم تقليداً لليهود؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يصومه في مكة.

فعن عائشة رضي الله عنها: (إن أهل الجاهلية كانوا يصومونه) [رواه البخاري ومسلم].

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: "كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يصومه بمكة، فلما هاجروا وجد اليهود يصومونه فصامه بوحي أو اجتهاد لا بإخبارهم، وقال ابن رجب: ويتحصل من الأخبار أنه كان للنبي صلى اللّه عليه وسلم أربع حالات: كان يصومه بمكة ولا يأمر بصومه، فلما قدم المدينة وجد أهل الكتاب يصومونه ويعظمونه وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر فيه فصامه وأمر به وأكد، فلما فرض رمضان ترك التأكيد، ثم عزم في

آخر عمره أن يضم إليه يوماً آخر مخالفة لأهل الكتاب، ولم يكن فرضاً قط على الأرجح".

وقال ابن حجر في (فتح الباري): "نقل ابن عبد البر الإجماع على أنه الآن ليس بفرض، والإجماع على أنه مستحب".

وقال النووي أيضاً: "واختلفوا في حكمه في أول الإسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان:

فقال أبو حنيفة: كان واجباً .

واختلف أصحاب الشافعي فيه على وجهين مشهورين:

أشهرهما: عندهم أنه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجباً قط في هذه الأمة ، ولكنه كان متأكد الاستحباب ، فلما نزل صوم رمضان صار مستحباً دون ذلك الاستحباب .

والثاني: كان واجباً كقول أبي حنيفة".

وقد جاء في فضل صيام عاشوراء عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: (يكفر السنة الماضية) [رَوَاهُ مُسلِمٌ]

والمراد أنه يكفر الصغائر، وهو على نصف فضل يوم عرفة؛ لأن يوم عرفة سنة المصطفى صلى اللّه عليه وسلم، ويوم عاشوراء سنة موسى عليه الصلاة والسلام، فجعل سنة نبينا صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم تضاعف على سنة موسى عليه السلام في الأجر.

يوم بعيد جداً عنا ذلك اليوم الذي نجى الله تعالى فيه موسى عليه السلام وقومه، ومع ذلك فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم به، ولما رأى اليهود يصومونه أمر بصيامه؛ لأن أولى الناس بموسى فرحاً بنجاته؛ هم من على الإسلام لا من حرفوا الدين، قال في الفتح: "وحديث ابن عباس يدل على أن الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى".

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُشغل بحدث كان فيه نجاة للمؤمنين مضى عليه عشرات مئات السنين ، بل بأكثر من ذلك فقد ورد أن في هذا اليوم كان نجاة نوح عليه السلام، وأن موسى عليه السلام نفسه كان يصومه شكراً لله على نجاة نوح عليه السلام من الطوفان.

قال الحافظ ابن حجر: "وقد أخرج أحمد من وجه آخر عن ابن عباس زيادة في سبب صيام اليهود له، وحاصلها أن السفينة استوت

على الجودي فيه، فصامه نوح وموسى شكراً، وقد تقدمت الإشارة لذلك قريباً ، وكأن ذكر موسى دون غيره هنا لمشاركته لنوح في النجاة وغرق أعدائهما).

فكيف يغفل عن هذا بعض المسلمين، ولا يعبأ بما يحدث لمسلم آخر أصابته شدة، ولا يعبأ بالمسلمين أصابهم خير أم شر، إن الفرح للمسلم والحزن له علامة من علامات المسلم وصفة من صفاته ، في الحديث: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

قال الحافظ ابن حجر: "وقد كان _صلى الله عليه وسلم_ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ولا سيما إذا كان فيما يخالف فيه أهل الأوثان، فلما فتحت مكة واشتهر أمر الإسلام أحب مخالفة أهل الكتاب أيضا كما ثبت في الصحيح، فهذا من ذلك، فوافقهم أولاً وقال: نحن أحق بموسى منكم، ثم أحب مخالفتهم فأمر بأن يضاف إليه يوم قبله ويوم بعده خلافاً لهم".

وقال بعض أهل العلم: قوله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم: (لئن عشت إلى قابل لأصومنَّ التاسع) يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه أراد نقل العاشر إلى التاسع.

والثاني: أراد أن يضيفه إليه في الصوم، فلما توفي صلى الله عليه وسلم قبل بيان ذلك كان الاحتياط صوم اليومين، وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب:

أدناها أن يصام وحده، وفوقه أن يصام التاسع معه، وفوقه أن يصام التاسع والعاشر والحادي عشر.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: (إن أهل الجاهلية كانوا يصومونه) [رواه البخاري ومسلم].

قال القرطبي: "لعل قريشاً كانوا يستندون في صومه إلى شرع من مضى كإبراهيم ، وصوم رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يحتمل أن يكون بحكم الموافقة لهم كما في الحج، أو أذن الله له في صيامه على أنه فعل خير، فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه وسألهم وصامه وأمر بصيامه احتمل ذلك أن يكون ذلك استئلافاً لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم ، ويحتمل غير ذلك.

وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهما، فإنه كان يصومه قبل ذلك، وكان ذلك في الوقت الذي يحب فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه".

ولدى التأمل في هذا اليوم؛ وتدبر آيات القرآن الكريم التي تحكي لنا الشدة التي كان فيها موسى عليه السلام وقومه، وكيف نجاهم الله تعالى في مشهد عظيم، ينشرح صدر المسلم ويطمئن إلى وعد الله تعالى الدائم بنصر المؤمنين، ونجاتهم من عدوهم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 103].

عام فات.. وعام آت.. وهكذا تمضي السنوات

في الوقت الذي يلفظُ فيه هذا العامُ أنفاسه الأخيرة، تتوالَى التهاني بقُرب ميلاد العام الجديد، وتتوالى الأُمنيات بعام سعيد مجيد، مَلِيءٌ بالأفراح وخالٍ من الأتراح.

وتَمتلئ أجهزة الهواتف بأنواع الرسائل المتسابقة؛ لتكون أوَّل مَنْ يهنِّئ، وأوَّل مَنْ يُبارك ميلاد العام القادم، بينما لا تَرِد رسالة تعزية واحدةٍ في العام الفقيد، الذي تسرَّبتْ منَّا أيَّامه ونحن في غفلة، وها هي لحظاته الأخيرة تتهاوى من بين أيدينا ولا ندري أكنَّا فيه من المحسنين أم من المسيئين؟ أكنا من المقبولين أم من المردودين؟!

مضَى عامٌ كامل مِن أعمارنا، وكأنَّه ساعة من نهار، أو غفوة في ليلةٍ صيفيَّة قصيرة، مضَى بساعاته وأيَّامه وأشهُره كأنْ لم يكن، مضَى بإنجازاته وإخفاقاته، وأفراحِه وأتراحِه، مضَى فكان من نصيبِ بعضنا القُرْب والرِّفعة، وبعضنا البُعد والذِّلة ومزيد مِن الهوان، قال الحسن البصري: ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

فكل يوم يمر، وكل هلال شهر يهل، وكل ساعة بل كل لحظة تمضي على الإنسان فإنها تبعده عن الدنيا وتقربه من الآخرة.

إنّا لنفرحُ بالأيّام نقطعها
وكلُ يومٍ مضى يدني من الأجلِ

فاعمل لنفسك قبل الْموت مُجتهدًا
فإنما الرِّبحُ والخسرانُ فِي العملِ

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (أَعْمَارُ أُمَّتِي ما بين السِّتِّينَ إلى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ من يَجُوزُ ذلك) [رواه ابن ماجه].

ولذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى اغتنام ساعات العمر قبل انصرامها فقال لرجل وهو يعظه: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) [رواه الحاكم].

إن الأملُ هو حادي الأرواح ومُستحثها للعمل والبناء، والنهوض وتَرْك الدَّعة، ولكنه إن تُرِكَ لهُ العِنان، شَغَل الإنسان بدنياه، وأنساه آخرته، فانساق وراء آماله وتَبِعها، وألْهَته تلك الآمال عن العمل وعن قُرب الأجل، وعلى الضِّدِ من ذلك إنْ قلَّ أمله، انتَفَضَ قلبه وأقبلتْ

نفسه على الله، ومَن أدركَ أنه عابر سبيل، وأنه لا بدَّ مُرتحل، قلَّ أملُه وطمعُه في الدنيا، وأقبل على العمل لِمَا بعد الموت؛ كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إذا أمسيتَ فلا تَنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء".

وخطَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم خطًّا مربَّعًا، وخطَّ خطًّا في الوسطِ خارجًا منه، وخطَّ خُطُطًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط مِن جانبه الذي في الوسط، وقال: (هذا الإنسان، وهذا أجَلُه محيطٌ به، أو قد أحاطَ به، وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، وهذه الخُطُط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا، نَهَشه هذا، وإنْ أخطأه هذا، نَهَشه هذا) [رواه البخاري].

ويا للعجب من أمر هذا الإنسان الذي تَنهشه النوائبُ، وتُكَدِّر عيشه، ومع ذاك يؤمِّلُ آمالاً طوالاً، تفوق ما قُدِّرَ له من العُمر!

لو وقَفنا لحظة ونظرَنا قبل أن نَلِج العام الجديد، وتساءَلْنا: ما الذي فعلناه؟ وما كانَ يجبُ أن نَفعله؟ وما الذي تركناه؟ وما كانَ يجبُ أن نترَكه؟ ما الذي قدَّمناه لأنفسنا؟ وما الذي قدَّمناه لغيرنا؟

لو حاسَبنا أنفسنا جيِّدًا على ما قدَّمته في عامها المنصرم، لنَتداركه في العام القادم، لكان هذا خيرًا من تَهْنئتها بعام تُضيفه إلى سابقيه دون اختلاف أو تغييرٍ.

وما العِبرة في كمِّ السنوات التي نُراكمها، بل العِبرة بكمِّ الأعمال التي نُبادرها ونكسب بها الحسنات، ونعلو بها الدرجات.

عاشَ سعدُ ابن معاذ رضي الله عنه ستَّ سنوات فقط في الإسلام، ولكنه عَمِل فيها ما اهتزَّ له عرش الرحمن، فماذا عَمِلنا نحن في عشرين أو ثلاثين أو خمسين عامًا أو أكثر عشناها في الإسلام؟!

الأيام تتوالَى والسنون تتتالَى كحبَّاتِ "سبحة" تكرُّ من بين الأنامل، وتتساقطُ تِباعًا، فإذا ما انتهتِ الحبَّات وانقَضَت السنوات، وافانا هادمُ اللَّذات، مُعلنًا نهايةَ هذه الحياة، فما الذي أعْدَدناه لما بعد الممات؟!

فأُذَكِّرُكُم وأُذَكِّرُ نفسي – قبلَ فواتِ الأوانِ – في اغتنام الفرصة، فقد كنت شاباً مثلكم أستطيع أنْ أُوَاصِلَ العملَ ساعاتٍ، مِن غيرِ كَلَلٍ، واليوم أصبحتُ عاجزاً عن القيام بكثير من الأعمال، وأتأسَّفُ على ما فاتَ من تلك السنين، وكذلك كنت صحيحاً، لا يَمْنَعُنِي من العمل مانع إلا التسويف أو الكسل، واليومَ أشتهي أن أعمل لكن

تمنعني أمراضُ وأسقام، وضَعْفِ في النظر، ورِقَّةٍ في القلب، وإذا كنا ونحن في الحياة نستطيع تدارك بعض ما فات فإن حلول الأجل يقطع الأسباب ، ويقفل الأبواب إلا باب الحساب ، والله المستعان.

فإلى عامٍ جديدٍ سعيد، نقترب فيه من ربِّنا، ونقترب فيه من إخوانِنا وأحبابنا، ونقترب فيه من أهلِنا وذوينا، فلعلَّ الرحمة تكمُن في القُرب وصلة الأرحام، ولعلَّ النصر يسكُن في القُرب والحب، ولعل القُرْب من الله يتحصَّل بالقُرْب من خَلْقه، وإصلاح ذات البَيْن، والتعاوُن على البِرِّ والتَّقْوى، ونبْذ العصبيَّة والمذهبيَّة المقيتة، التي فتَّتِ الكلمة وشتَّتَتِ الجهد..!

عام مضى والعمر يمضي.. كلما مرَّ يومٌ مرَّ بعضي

تسير الحياة، ويتعاقب الليل والنهار، وتمضي الأيام والليالي؛ فإذا عام قد مضى، ونقص من عمرنا، بما فيه من أفراح وأحزان، وآلام وأشجان، بما فيه من أعمال وأقوال، وتصرفات وحركات، وصمت وسكنات، وخفايا وأسرار، بما فيه من أحداث وأخبار.

عام مضى لا نستطيع تغييره، ولا تبديله، ولا تجميله؛ فقد ذهب بما حمل من خير أو شر، من عدل أو ظلم، من حرية أو عبودية، من إنسانية أو وحشية!

مضى عام هجري، فكيف قضاه الإنسان؟ وأقبل عام جديد، فكيف يقضيه الإنسان؟

أرى الأعيادَ تتركني وتمضي
وأحسبني سأتركها وأمضي

وما كذبَ الذي قدْ قالَ قبلي:
إذا ما مرَّ يومٌ مرَّ بعضي

أرى الأيام قد ختمت كتابي

وأحسبها ستتبعه بفضٍّ

إن إسلامنا منهج حياة، مفعم بالبناء والعطاء، فالوقت في الإسلام عبادة، وليس مجرد ثقافة استهلاكية، أو نظريات وفلسفات مادية، والإنسان مستأمن على عمره في الدنيا؛ ولذا لا يوجد وقت مستقطع من حياته يسمى: "وقت الفراغ"..!

فجميع حياة الإنسان عبادة، حتى في منامه ولعبه، وعمله وقوله، وجِدِّه ومَزْحه، وأكله وشربه، إذا اقترنت بالنية الصالحة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وفي بُضْعِ أحدِكم صَدَقة)، قالوا: يا رسول الله، أيَأتي أحدُنا شهوتَه، ويكون له فيها أجرٌ؟! فقال: (أرأيتُم لو وضعَها في الحرام، كان يكونُ عليه وزرٌ؟)، قالوا: بلى، قال: (فكذلك إذا وضعَها في الحلال، له الأجر) [رواه مسلم].

والإسلام وازَنَ بين متطلبات الجسد وأشواق الروح، وبين المادة والقيم، وبين مقاصد الدنيا والدين، وهذا التوازن هو الذي يبني الإنسان الصالح، فيعيش عامه بالاستخلاف في هذه الأرض، وعمارتها.

والمتأمل في واقعنا – وللأسف الشديد – يجد أن الأيام تمضي، والليالي تدور، والأعوام تتلاحق، وواقع المسلمين يندى له الجبين، حروب طاحنة تأكل الأخضر واليابس، وعمر الأمة يتلاشى في تدمير نفسها، علاوة على أنهم يعيشون حالة ضبابية لمفهوم وقت الفراغ؛ فقد أصبحت الأعوام مهدرة، وعبئًا على حركة الفرد والمجتمع، وأصبح العمر مجرد زمن ضائع، وطاقة استهلاكية تتآكل مع الأيام، دون إنتاج أو تنمية أو إبداع.

انْدُبْ زَماناً سلَفا سوّدْتَ فيهِ الصُّحُفا
ولمْ تزَلْ مُعتكِفا على قبيحٍ مقرفا

عام مضى، وأقبل عام، وعلى الإنسان أن يضع لبنة بناء، يحاسب نفسه عما مضى، مستشرفًا المستقبل فيما يأتي، واضعًا نُصْبَ عينيه أن أيامه معدودة في هذه الحياة، وتمتد بعد وفاته بما يتركه خلفه من عمل صالح؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) [رواه مسلم].

نسأل الله عز وجل أن يجعل عامنا الجديد هذا عام عزٍّ ونصر وتمكين لجميع المسلمين، ويوفقنا فيه للعلم النافع، والعمل الصالح.

❖ ملاحظة في حكم التهنئة بالعام الهجري :

في منسلَخ كلِّ عام ومفتتَحِه يكثر الحديث عن حكم التهنئة بذلك، إن التَّهنئة كما قرَّر غيرُ واحد من العلماء (من العادات، وليس مِن العبادات)، والعادات يُنظر فيها إلى المعاني والمقاصد.

ولها أصلٌ في الشريعة؛ فقد هنَّأ بعضُ الصَّحب كعبَ بن مالك بحضرة النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأيضًا: سجود الشُّكر عند تجدُّد نعمة، أو دفع نقمة، ولا شك أن انتهاء العام؛ فيه تجددُ نعمة العبادة، والانتهاء من عبادة عام كامل.

وهنا أنقل كلاماً مفيداً من رسالة الإمام السيوطي رحمه الله: (وصول الأماني)، نقَل فيها عن القمولي في "الجواهر" أنه قال :

"لم أرَ لأصحابنا كلامًا في التهنئة بالعيدين والأعوام والأشهُر كما يفعله الناس، ورأيتُ – فيما نقل من فوائد الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذري – أنَّ الحافظ أبا الحسن المقدسيَّ سُئل عن التهنئة في أوائل الشهور والسنين: أهو بدعة أم لا؟

فأجاب: بأن الناس لم يزالوا مُختلفين في ذلك، قال: والذي أراه أنه مباح؛ ليس بسُنة، ولا بدعة، انتهى".

عشر ذي الحجة أفضل أيام الدنيا

تم الإعلان أن يوم غد الخميس هو غرة ذي الحجة، وبناء عليه يوافق عيد الأضحى المبارك يوم السبت 4 أكتوبر، فالحمد لله الذي خلق الزمان وفضل بعضه على بعض فخص بعض الشهور والأيام والليالي بمزايا وفضائل يعظم فيها الأجر ، ويكثر الفضل رحمة منه بالعباد ليكون ذلك عوناً لهم على الزيادة في العمل الصالح والرغبة في الطاعة، والسعيد من اغتنم تلك المواسم الفاضلة ومنها عشر ذي الحجة، حيث شهد لها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل أيام الدنيا، وحث على العمل الصالح فيها؛ بل إن الله تعالى أقسم بها، وهذا وحده يكفيها شرقاً وفضلاً، إذ العظيم لا يقسم إلا بعظيم، نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الاستفادة من هذه الأيام، وأن يعيننا على اغتنامها على الوجه الذي يرضيه.

*فضل عشر ذي الحجة:

1- أن الله تعالى أقسم بها: وإذا أقسم الله بشيء دل هذا على عظم مكانته وفضله، إذ العظيم لا يقسم إلا بالعظيم، قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر:1-2]. والليالي العشر هي عشر

ذي الحجة، وهذا ما عليه جمهور المفسرين والخلف، وقال ابن كثير في تفسيره: وهو الصحيح.

2- أنها الأيام المعلومات التي شرع فيها ذكره: قال الله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج:28] وجمهور العلماء على أن الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، منهم ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما.

3- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد لها بأنها افضل أيام الدنيا: فعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا الْعَشْرُ«، يَعْنِي عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ .قِيلَ :وَلاَ مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَلاَ مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ رَجُلٌ عُفِّرَ وَجْهُهُ بِالتُّرَابِ) [رواه البزار وابن حبان].

4- أن فيها يوم عرفة: ويوم عرفة يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العتق من النيران، ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاها ذلك فضلاً.

5- أن فيها يوم النحر: وهو أفضل أيام السنة عند بعض العلماء، قال صلى الله عليه وسلم: (أَفْضَلُ الأيَّامِ عِنْدَ اللَهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ القَرِّ) [رواه أبو داود والنسائي].

6- اجتماع أمهات العبادة فيها: قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره).

*فضل العمل في عشر ذي الحجة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ ٱلأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ) [رواه الترمذي وأبو داود].

إذا تبين لك فضل العمل في عشر ذي الحجة على غيره من الأيام، فحريٌّ بك أن تخص هذه العشر بمزيد عناية واهتمام، فقد كان هذا

هو حال السلف الصالح في مثل هذه المواسم، يقول أبو عثمان النهدي: كانوا . أي السلف . يعظمون ثلاث عشرات:

العشر الأخير من رمضان

والعشر الأول من ذي الحجة

والعشر الأول من محرم.

*ومن الأعمال الفاضلة التي يستحب للمسلم أن يحرص عليها ويكثر منها في هذه الأيام ما يلي:

1- أداء مناسك الحج والعمرة.

وهما افضل ما يعمل في عشر ذي الحجة، حج بيت الله الحرام ومن يسر الله له حج بيته وقام بأداء نسكه أو أداء العمرة على الوجه المطلوب فجزاؤه الجنة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ) [متفق عليه].

2-الصيام: فيسن للمسلم أن يصوم تسع ذي الحجة وهو يدخل في جنس الأعمال الصالحة، بل هو من أفضلها، وقد أضافه الله إلى

نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) [متفق عليه].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة.

فعن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر. أول اثنين من الشهر وخميسين) [أخرجه النسائي وأبو داود].

وقد خصَّ النبي صلى الله عليه وسلم صيام يوم عرفة من بين أيام عشر ذي الحجة بمزيد عناية، وبين فضل صيامه فقال: (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ) [رواه مسلم].

3- الصلاة: وهي من أجل الأعمال وأعظمها وأكثرها فضلاً، ولهذا يجب على المسلم المحافظة عليها في أوقاتها مع الجماعة، وعليه أن يكثر من النوافل في هذه الأيام، فإنها من أفضل القربات، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: (وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ) [رواه البخاري].

4- التكبير والتحميد والتهليل والذكر: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الإكثار من الذكر فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ) [رواه أحمد].

وقال البخاري: كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

ويستحب للمسلم أن يجهر بالتكبير في هذه الأيام ويرفع صوته به، [ويجهر به الرجال وتخفيه المرأة] والجهر بذلك في المساجد والمنازل والطرقات وكل موضع يجوز فيه ذكر الله إظهارا للعبادة ، وإعلاناً بتعظيم الله تعالى.

قال الله تعالى : ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج : 28].

والجمهور على أن الأيام المعلومات هي أيام العشر لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: (الأيام المعلومات : أيام العشر).

وصفة التكبير: (الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد)، وهناك صفات أخرى.

والتكبير في هذا الزمان صار من السنن المهجورة ولا سيما في أول العشر فلا تكاد تسمعه إلا من القليل ، فينبغي الجهر به إحياء للسنة وتذكيراً للغافلين.

5- الصدقة: وهي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام، وقد حث الله عليها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:254]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) [رواه مسلم].

6- الإكثار من الأعمال الصالحة عموماً: لأن العمل الصالح محبوب إلى الله تعالى وهذا يستلزم عظم ثوابه عند الله تعالى.

فعلينا أن نجتهد في حسن الاستقبال لمواسم الخير ونسارع بالتوبة الصادقة النصوح، وبالإقلاع عن الذنوب والمعاصي، فإن الذنوب هي التي تحرم الإنسان فضل ربه، وتحجب قلبه عن مولاه. كما يستقبل

المسلم مواسم الخير عامة بالعزم الصادق على اغتنامها بما يرضي الله تعالى ويحاول التسابق إلى الطاعات، والمسارعة للخيرات ليدرك رحمة الله تعالى الرحيم بعباده والمحب لهم، ويسارع المسلم باغتنام هذه المواسم العظيمة، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133].

فمن لم يمكنه الحج فعليه أن يعمر هذه الأوقات الفاضلة بطاعة الله تعالى من الصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء والصدقة وبر الوالدين وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من طرق الخير وسبل الطاعة.

في المعراج حكمة تستحق التأمل!

حينما نقرأ حديث الإسراء والمعراج ونحلق في سماء آيات سورة الإسراء في القرآن الكريم تأخذنا الدهشة في كل كلمة؛ وفي كل موقف، وفي كل حكمة، فحديث الإسراء والمعراج حديث مشوق، مليء بالحِكَم، وحادثة فذة، وأسبابها عظيمة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما لاقى المشقة والتعب والجفاء من أهل الأرض كان ذلك سبباً وتمهيداً لرحلة أرضية وسماوية معاً وهي رحلتا الإسراء والمعراج بمثابة ترويح واستجمام وحفاوة من السماء.

لكنني أود في هذه المناسبة اليوم أن أقف عند حكمة فرض الصلاة، فمعلوم أن الصلاة معراج المؤمن، وأنها صلة بين العبد وربه، ولكن السؤال الذي فكرت فيه واستوقفني كثيراً:

لماذا فرضت الصلاة ابتداء خمسين صلاة ثم خففت حتى أصبحت في اليوم والليلة خمساً في الأداء وخمسين في الأجر والثواب؟

ثم لماذا كانت المراجعة بإشارة من نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، وكانت عدة مرات أيضاً (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ)؟

الأمر في الوهلة الأولى قد يبدو غريباً، فكلنا يعلم أن الأنبياء يطيعون أوامر الله تعالى دون تردد؛ وهذه المراجعات لا تتناسب مع خلق الأنبياء!

لكننا لو فكرنا بعمق أكثر فسنجد أن الأمر له جوانب أخرى لا تظهر إلا بتدقيق النظر والتأمل، فهناك تدريب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كي يستفيد من التجارب السابقة، وخصوصاً في إخفاقات هذه التجارب وما واجهها من عراقيل ومشاكل، فنبي الله موسى عليه السلام كان يعرض واقع تجربته مع بني إسرائيل ويقول:

"قد جربتُ الناس قبلك، وإني عالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لن يطيقوا ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك؟

فالتفت النبي صلى الله عليه و سلم إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريل أن: نعم إن شئتَ".

كما أن في ذلك تدريباً مباشراً للنبي صلى الله عليه وسلم على مفهوم التفاوض والمرونة في حدود معينة، فهناك ما يشير في بعض الروايات أن الأمر كان منذ البداية خمس صلوات في اليوم والليلة ولكن التفاوض كان مطلوباً على ما يبدو والله تعالى أعلم.

تقول الرواية: " فقال الجبار: يا محمد! قال: لبيك وسعديك! قال: إنه لا يبدل القول لدي؛ كما فرضت عليك في الكتاب. قال: فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك".

أما الكلمة الأخيرة التي قالها نبي الله موسى عليه السلام لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام بعد أن استقر أمر الصلاة على خمس مرات فتستحق التأمل ملياً.

تقول الرواية: "فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا؛ أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد – والله – راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا موسى! قَدْ –وَاللَّهِ– اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْه)

قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ"

ما أروعها من كلمة: فاهبط باسم الله!

اهبط إلى الأرض باسم الله، ومعك أهم أركان الإسلام وهي الصلاة، الفريضة الوحيدة التي فرضت مباشرة دون واسطة أحد، وفرضت في

أكرم مكان في سدرة المنتهى، وكانت هدية السماء إلى الأرض، كما كانت هداية وهدية الله لعباده، وهدية الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته وهو قادم من سفره ورحلته.

اهبط ومعك هذه الهدية التي ستساهم في رفعة أتباعك ويجعلهم "أمة وسطاً"، اهبط بهذه التحفة التي ستساهم في سموِّ أمتك وتجعلهم "أمة قائمة"

اهبط إلى الأرض باسم الله، ومعك لأتباعك هذه الصلاة، خمسة ولكن بأجر وإنماء وإثمار خمسين، فهل سنهمل هذه الهدية وننساها ؟

وهل فقهنا سر تلك المفاوضات في تخفيف عددها؟! وهل حمدنا الله تعالى على تلك المرونة؟!

ثم هل سنبقى نحافظ على هذه الصلوات الخمس؟

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:4-5].

حافظ على صلواتك الخمس كم مصبح وعساه لا يمسي
واستقبل اليوم الجديد بتوبة تمحو ذنوب صبيحة الأمس
فليفعلن بوجهك الغضّ البلا فِعل الظلام بصورة الشمس

لا تضيع اللبن في الصيف.. فلا زال رمضان ضيف

دختنوس بنت لقيط بن زرارة كانت تحت عمرو بن عداس، وكان شيخاً كبير السن، فكرهتْه لسوء أخلاقه وطبعه وشكله؛ فطلقها، ثم تزوجها فتى جميل الوجه من قبيلتها، ذو إبل وماشية وخير وفير.

وبعد سنة من زواجهما أصاب القرية قحط، فأجدبت الأرض، وقلَّ العشب، فأصبحت الماشية لا تدر لبناً، فبعثت دختنوس بنت لقيط إلى زوجها السابق عمرو رسولاً تطلب منه مذقة لبن! (شيئاً يسيراً من الحليب) فقال عمرو لرسولها:

(أبلغ سيدتك قل لها) : {الصيف ضيعت اللبن}! [وإنما ذكر في المثل كلمة "الصيف" لأن طلاقها منه كان في فصل الصيف] وذهب قول عمرو مَثَلاً لمن يطلب شيئاً قد فوَّته على نفسه، حيث لم ينتهز فرصة هو قادر على استغلالها، ويبقى يندب حظه!

نسأل الله تعالى أن لا نكون ممن ضيع فرصة رمضان، فرمضان سوق، وموسم بركة، والتاجر الذكي من حرص على الربح فيه، وأعطاه حقه، وكان في نهايته من الفائزين.

إن الله تعالى يدعونا لكي ندعوه، ويبشرنا بأن سيستجيب لنا لأنه قريب منا، وخاصة في هذا الشهر الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:60] فلا تيأس في إجابة الدعاء.

وهؤلاء أهل الجنة وهم فيها؛ إلا أن لحظات (الدعاء) بقيت خالدة في أذهانهم لم يستطيعوا نسيانها، قال الله تعالى على لسانهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾[الطور:28] لحظات الدعاء لا تنتسى!

وأنت الآن في شهر الدعاء، فتلذذ بالدعاء، واطلب كريماً لا يخيب من دعاه، والله تبارك وتعالى يحب الملحّين في الدعاء!

وتأمل أواخر سورة (آل عمران): الآية 191 ﴿رَبَّنَا﴾ ، والآية 192 ﴿رَبَّنَا﴾ ، والآية 193 ﴿رَبَّنَا... رَبَّنَا﴾ ، والآية 194 ﴿رَبَّنَا﴾

وكانت النتيجة:

﴿فاسْتَجابَ لَهُم رَبُّهُم﴾ [آل عمران:195].

دلّت الفاء على سرعة الإجابة بحصول المطلوب، و(استجاب) بمعنى أجاب عند جمهور أئمّة اللغة، فالسين والتاء للتأكيد.

و(استجاب) أخصّ من (أجاب) لأنّ استجاب: يقال لمن قَبِل ما دُعِي إليه، وأجاب أعمّ، فيقال لمن أجاب بالقبول وبالردّ.

وقد ابتدأوا دعاءهم وخلّلوه بندائه تعالى: (خمس مرات) إظهاراً للحاجة إلى إقبال الله عليهم.

وتعبيرهم في دعائهم بوصف ﴿رَبَّنَا﴾ دون اسم الجلالة لما في وصف الربوبية من الدلالة على الشفقة بالمربوب، ومحبّة الخير له، ومن الاعتراف بأنّهم عبيده، ولتتأتّى الإضافة المفيدة التشريف والقرب، ولردّ حسن دعائهم بمثله بقولهم: «ربَّنا، ربَّنا».

وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه قال: «مَن حَزبه أمر فقال: يا ربّ خمس مرات؛ أنجاه الله ممّا يخاف وأعطاه ما أراد» .

ألِحّ على الله بالدعاء، فلا زال سوق رمضان يشهد انتعاشاً، والدعاء هو العبادة، فثِقْ بالفرج القريب، ولا تَنْسَنَا فِي صَالِحِ دُعَائِكَ!

لمحات حضارية في غزوة بدر الكبرى

غزوة بدر الكبرى وتسمى بدر القتال، ويوم الفرقان لأنها أول معركة بين الحق والباطل؛ وقعت في السابع عشر من رمضان في العام الثاني من الهجرة (الموافق 13 مارس 624م)، وقد سُميت بهذا الاسم نسبةً إلى منطقة بدر التي وقعت المعركة فيها، وبدر: بئرٌ مشهورةٌ تقع بين مكة والمدينة المنورة.

وكانت أول وأشهر مواجهة عسكرية حصلت بين المسلمين وبين كفار قريش وصناديدها، ولهذه الغزوة مكانة رفيعة ومتميزة في تاريخ الإسلام إذا ما قيست بغيرها من الغزوات، فقد وَسَمَت المجاهدين الذين اشتركوا فيها بوسام متميز من التقدير والاحترام والأسبقية، وسجل التاريخ بطولاتهم في صفحات مشرقة بحيث صار المجاهد البدري يُعرف بطلاً مقداماً يتمنى المسلمون أن لو كانوا مكانه، فكان يكفي المسلم قدراً آنذاك أن يقال عنه أنه بدري.

قال النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه: (إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) [رواه البخاري].

وللاطلاع على تفاصيل سير أحداث المعركة ينبغي الرجوع إلى كتب السيرة، ولكني سأتحدث عن محاور وقيم حضارية مستفادة من هذه الغزوة:

1- لا نستعين بمشرك على مشرك:

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، أدركه خبيب بن إساف، وكان ذا بأس ونجدة ولم يكن أسلم، ولكنه خرج منجدًا لقومه من الخزرج طالبًا للغنيمة، وكانت تُذكر منه جرأة وشجاعة، ففرح أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين رأوه، فلما أدركه قال: جئت لأتبعك وأصيب معك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "أتؤمن بالله ورسوله؟" قال: لا. قال: "فارجع، فلن نستعين بمشرك". فلم يزل خبيب يلح على النبي، والنبي يرفض، حتى أسلم خبيب، فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ، وَقَالَ: "انطلق"[1].

وعلى النقيض من هذا الموقف، جاء أبو قَيْسُ بْنُ مُحَرِّثٍ، يطلب القتال مع المسلمين، وقد كان مشركًا، فلما رفض الإسلام، رده

1- طبقات ابن سعد:535/3.

رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَرَجَعَ الرجل إلى المدينة، وأسلم بعد ذلك"[1].

وهكذا نجد القائد الإسلامي في هذا الموقف، يرفض أشد الرفض أن يستعين بمشرك على قتال مشرك، وأقل ما نُعَنْون به هذا الموقف الحضاري في السيرة الغراء، هو عنوان الحرب الشريفة النظيفة، التي تكون من أجل العقائد والمثل، لذا لا يصح أن نستعين بأعداء هذه العقيدة في الحرب.

وتخيَّل معي شعور الجيش المشرك، عندما تأتيه أنباء رفض القائد الإسلامي الاستعانة عليهم بغير المسلمين!

إن القيادة الإسلامية ترسخ هذا الأصل الأصيل في أخلاقيات الحروب، بحيث تُظهر عقيدتها السَّمْحة، ناهيك عن البعد الإعلامي الذي يسحب القائد الإسلامي بساطه من تحت خصمه، الذي جاء بطرًا ورئاء الناس، فيظهر الخصم المشرك أمام الرأي العام العالمي بمظهر المتعجرف.

2- مشاركة القائد جنوده في الصعاب:

1- المغازي، للواقدي: 48/1.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير، فكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكان إذا جاءت عُقْبَة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا: نحن نمشي عنك. فقال: "ما أنتما بأقوى مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما"[1].

وهكذا القائد يكون قدوة صالحة وطيبة أخلاقية لجنوده في المنشط والمكره، وليس القائد بالذي يتخلف عن جيشه رهبًا من الموقف، أو يتلذذ بصنوف النعيم الدنيوي وجنوده يكابدون الحر والقرّ.

3- الشورى:

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم نجاة قافلة أبي سفيان في وداي ذَفِرَانَ، وتأكد من حتمية المواجهة العسكرية مع العدو؛ استشار الصحابة ووضعهم أمام الوضع الراهن، إما ملاقاة العدو، وإما الهروب إلى المدينة، فقال لجنوده: "أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيّهَا النّاسُ"، وما زال يكررها عليهم، فيقوم الواحد تلو الآخر ويدلو بدلوه، فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو

1- سيرة ابن هشام:389/2.

فقال وأحسن، حتى قام القيادي الأنصاري البارز سعد بن معاذ، فحسم نتيجة الشورى لصالح الحل العسكري.

هذا هو المجتمع الإسلامي، الذي يعتبر الشورى ركنًاً من أركانه، وأصلاً في بنيانه، في أيام كانت أوربا تحت حكم وراثي كنسيّ مستبد، يقيد الجنود بالسلاسل في المعارك حتى لا يفروا، لا قيمة عندهم لرأي، ولا وزن لفكر!

4- النهي عن انتزاع المعلومات بالعنف:

لقد حذر رسولنا صلى الله عليه وسلم من انتزاع المعلومات بالقوة من الناس؛ ففي ليلة معركة بدر بَعَثَ النبي صلى الله عليه وسلم عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالب فِي مفرزة إلى ماء بدر في مهمة استخباراتية لجمع المعلومات، فوجدوا غلامين يستقيان للمشركين، فأَتَوْا بِهِمَا فَسَأَلُوهُمَا، وَرَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي، فقالا: نَحْنُ سُقَّاةُ قُرَيْشٍ، فطفق الصحابة يضربوهما، حتى اضطر الغلامان لتغيير أقوالهما.

فلما أتم رسول الله صلاته، قال لهما مستنكرًا: (فَإِنَّهُمَا قَدْ صَدَقَا، وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُمَا إِذَا صَدَقَا، وَتَتْرُكُونَهُمَا إِذَا كَذَبَا..! صَدَقَا، وَاَللَّهِ إنّهُمَا لِقُرَيْشٍ)[1].

هذا مظهر آخر من المظاهر الحضارية في السيرة، وصورة مشرقة في معاملة القيادة الإسلامية لمن وقع في قبضة المخابرات الإسلامية للاستجواب، فقد نهى القائد عن تعذيب المستجوَب، أو انتزاع المعلومات منه بالقوة، فسَبَقَ اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949م التي تحظر إجبار الأسير على الإدلاء بمعلومات سوى معلومات تتيح التعرف عليه مثل: اسمه وتاريخ ميلاده ورتبته العسكرية، وجرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أعمال التعذيب أو الإيذاء أو الضغط النفسي والجسدي التي تمارس على الأسير ليفصح عن معلومات حربية.

5- احترام آراء الجنود:

لما تحرك رسول الله إلى موقع المعركة، نزل بالجيش عند أدنى بئر من آبار بدر من الجيش الإسلامي، وهنا قام الْحُبَاب بن الْمُنْذِرِ وأشار على النبي صلى الله عليه سلم بموقع آخر أفضل من موقعهم، وهو

1- دلائل النبوة للبيهقي، و سيرة ابن هشام:616/1.

عند أقرب ماء من العدو، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم – مشجعًا–: "لَقَدْ أَشَرْت بِالرَّأْيِ"[1].

وبادر النبي بتنفيذ ما أشار به الحباب، ولم يستبد برأيه رغم أنه القائد الأعلى، وعليه ينزل الوحي من السماء!

إن مثل هذه المواقف الحضارية لتبين كيف تكون العلاقة بين القائد وجنوده؟ إنها علاقة تحترم الآراء الناضجة، وتشجع الأفكار الصاعدة.

6- العدل بين القائد والجندي:

قلما نرى في تاريخ الحروب صورة تعبر عن العدل بين القادة والجنود، فالتاريخ الإنساني حافل بصور استبداد القادة العسكريين وظلمهم للجنود!

أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنراه في أرض المعركة يقف أمام جندي من جنوده لَيَقتص الجندي منه، فهذا جندي يدعى سَوَاد بن غَزِيّة، لما اسْتَنْتِل من الصف، غمزه النبي غمزة خفيفة في بَطْنِهِ – بالسهم الذي لا نصل له – وقال: استوِ يا سواد !

1- سيرة ابن هشام: 620/1.

قال: يا رسول الله، أوجعتني! وقد بعثك الله بالحق والعدل؛ فَأَقِدْنِي؟ فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ بَطْنِهِ، وَقَالَ: اسْتَقِدْ، فَاعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَ بَطْنَهُ !

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَا حَمَلَك عَلَى هَذَا يَا سواد ؟ قال: حضر ما ترى، فَأَرَدْتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك! فدعا له رسول الله بخير"[1].

7- الحوار قبل الصدام:

لما كان النبي صلى الله عليه سلم رحمة للعالمين، أراد أن يقيم الحجة على المشركين ويستنفد كل وسائل الصلح والسلام، وأن يرجع الجيشان إلى ديارهما وتُحقَن الدماء قبل أن يخوض المعركة، فلما نَزَلَ الجيش الوثني أرض بدر أَرْسَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ إلى قُرَيْشٍ، وقد كان سفيرهم في الجاهلية، فنصحهم عمر بالرجوع إلى ديارهم حقناً للدماء، فتلقفها حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ أحد عقلاء المشركين، فقال: قد عَرَضَ نصْفًا فَاقْبَلُوهُ، والله لا تُنْصَرُونَ

1- سيرة ابن هشام: 621/1.

عليه بعد ما عرض من النّصْفِ! فقال أبو جهل: والله لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم"[1].

فانظر حرص الرسول على حقن الدماء وحرص أبي جهل على سفك الدماء، ثم انظر إلى هذه القيمة الحضارية التي يسجلها نبي الرحمة في هذه المعركة.

8- الوفاء مع المشركين:

الوفاء خلق الأنبياء ولذلك قال النَّبِي صلى الله عليه وسلم في أُسَارَى بدر: (لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ) [رواه البخاري].

وذلك لأن المطعم قد أدخل النبي صلى الله عليه وسلم في جواره فور رجوعه من الطائف إلى مكة، في الوقت الذي تخلى فيه الناس عن حماية النبي خوفاً من بطش أبي جهل، قال المطعم يومها: يا معشر قريش، إني قد أجرتُ محمدًا فلا يهجه أحد منكم .

وقد حفظ النبي صلى الله عليه وسلم للمطعم هذا الصنيع وهذه الشهامة.

1- الواقدي:62/1.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم أيضًا: (مَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ فَلا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، فَلا يَقْتُلْهُ؛ فَإِنّهُ إنما أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا)[1].

لقد كان العباس في مكة بمنزلة قلم المخابرات للدولة الإسلامية، وكان مسلمًا يكتم إيمانه.

أما أبو الْبَخْتَرِي فقد كان أكفَّ المشركين عن المسلمين، بل ساند المسلمين في محنتهم أيام اعتقالهم في الشِّعب، وكان ممن سعى في نقض صحيفة المقاطعة الظالمة، ومن ثَمَّ كانت له يدٌ على المسلمين، فأرد النبي يوم بدر أن يوفيه إياها ويكرمه.

وهكذا القيادة الإسلامية تحفظ الجميل لأصحاب الشهامة، وإن كانوا من فسطاط المشركين.

9- حفظ العهود:

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ما منعنا أن نشهد بدرًا إلا أني وأبي أقبلنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذنا كفارُ قريش فقالوا: إنكم تريدون محمدًا! فقلنا: ما نريده إنما نريد المدينة، فأخذوا

1- طبقات ابن سعد:10/4.

علينا عهد الله وميثاقه لتصيرن إلى المدينة ولا تقاتلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم، فلما جاوزناهم أتينا رسول الله صلى الله عله وسلم فذكرنا له ما قالوا وما قلنا لهم فما ترى؟ قال: (نَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ونَفِي بِعَهْدِهِمْ) ! [المستدرك للحاكم].

وهذا الموقف من رسول الله يعدُّ من مفاخر أخلاقيات الحروب في تاريخ الإنسانية، فلم ير المؤرخون في تاريخ الحروب قاطبة موقفًا يُنَاظر هذا الموقف الباهر، ذلك الموقف الذي نرى فيه القيادة الإسلامية تحترم العهود والعقود لأقصى درجة، حتى العهود التي أخذها المشركون على ضعفاء المسلمين أيام الاضطهاد، ولو كان ما يعلو هذه العقود شبه الإكراه.

10- إكرام الأسرى:

بعدما أكرم الله الجيش الإسلامي بالنصر، واستوثق المسلمون من الأسرى، فرَّقهم النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وقال: "استوصوا بهم خيرًا"[1].

1- البداية والنهاية لابن كثير: 307/3.

وهذا أبو عزيز بن عمير – أخو مصعب– يحدثنا عما رأى حين أسره المسلمون قال:

"كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قَدّمُوا غداءهم وعشاءهم خَصّوني بالخبز وأكلوا التمر؛ لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّاهُمْ بِنَا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نَفَحَنِي بِهَا، فَأَسْتَحْيِي فَأَرُدّهَا على أحدهم، فَيَرُدّهَا عَلَيَّ ما يَمَسّهَا"[1].

هذا الخُلق الكريم الذي غرسه المعلم الأكبر صلى الله عليه وسلم في جنده، قد كان له بالغ الأثر في إسراع مجموعة من أكابر الأسرى وأشرافهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز عقب معركة بدر، وعاد الأسرى إلى مكة يتحدثون عن الأخلاق الرفيعة لمحمد وأصحابه وسماحتهم وكرمهم.

11– النهي عن المثلة بالأسير:

لما أُسر سُهيل بن عمرو أحد صناديد مكة فيمن أُسر، قال عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ لِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللّهِ، دَعْنِي أَنْزِعْ

1– سيرة ابن هشام:644/1.

ثَنِيَّتَيْ سهيل بن عمرو، وَيَدْلَعُ لِسَانَهُ فلا يقوم عليك خطيبًا في موطن أبدًا !

وقد كان سهيل خطيبًا مفوهًا، يهجو الإسلام. فقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم –في سماحةٍ وسمو –: (لا أُمَثِّلُ بِهِ، فَيُمَثِّلُ اللَّهُ بِي وَإِنْ كُنْتُ نَبِيًّا)"[1].

ما أعظم هذه القيمة الحضارية، لقد سنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك سنة حسنة في الحروب، ويبقى له الفضل والسبق في تحريم إهانة الأسرى أو إيذائهم.

وهكذا كان نبي الرحمة في ميدان القتال، لا يستعين بمشرك على مشرك، ويشارك جنوده، ويستشيرهم، ويعدل بينهم، ويحترم آراءهم، ويحاور أعداءه حقاً للدماء، ويكون وفيًّا كريمًا لأهل الفضل منهم، ويكرم الأسرى، وينهى عن إيذائهم.

لقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة بدر أروع الأمثلة في البطولة والاستشهاد، وأثبتوا فيها صدق إيمانهم، وعظيم بذلهم وتضحياتهم، ويقينهم بما أعد الله لهم في الجنة، الذي جعل أحدهم

1- سيرة ابن هشام:649/1.

يستطيل حياته الباقية وإنْ لم يبق منها إلا لحظات يسيرة فيُقْدِم ويسارع إلى القتال والموت في سبيل الله، كما وقع مع عمير بن الحمام رضي الله عنه، والآخر . خيثمة . مع بره وأدبه مع أبيه ينافسه في الخروج للجهاد والقتال، والآخر – عمير بن أبي وقاص – ما زال غلاما صغيراً يبكي أمام النبي صلى الله عليه وسلم حتى يأذن له للخروج للجهاد، فيُقتل شهيداً.. فرضي الله عن أهل بدرٍ أجمعين.

أيها المؤمنون الصائمون صلوا على قائد غزوة بدر، واذكروا أهل بدر؛ رجالها، وشبابها، وشهداءها، ورحم الله الشاعر حينما قال:

شهداء بدر أنتم المثل الذي بلغ المدى بعد المدى فتناها

علمتم الناس الكفاح فأقبلوا ملء الحوادث يدفعون أذاها

أما الجهاد فقد قضيتم حقه وتركتموه شريعة نرضاها

من رام تفسير الحياة لقومه فدم الشهيد يبين عن معناها

ليلة القدر خير من العمر كله

ليلة القدر أمرها عظيم والخير فيها كثير، فهي ليلة المغفرة والعتق من النيران، ومضاعفة الأعمال، وزيادة الحسنات، ليلة تُجاب فيها الدعوات وتعلو فيها الدرجات، السعيد من فاز بها، والمحروم من حرم فضلها.

سورة القدر مكية في أرجح الأقوال، وترتيب نزولها الخامسة والعشرون.

وسبب نزولها أنه ذكر أمام النبي صلى الله عليه وسلم رجل من بني إسرائيل حمل السلاح ألف شهر في سبيل الله، فاستقلّ النبي صلى الله عليه وسلم أعمار أمته، فنزلت هذه السورة [رواه مجاهد].

والحقيقة أن هذه السورة تحمل في طياتها الكثير من الأفكار المهمة، منها:

1- معنى كلمة القدر:

القدر: الحكم والتقدير والتدبير، وجذر الكلمة يدور حول مقادير الأشياء، فيصبح معنى الكلمة هي ليلة الحكم والتدبير والقضاء. {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}[الدخان: 4] يفرق: يقضى ويفصل،

وقال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما: "في ليلة القدر يقضي الله كل أجل وخلق ورزق إلى مثلها في العام القادم".

2- ليلة القدر خير من ألف شهر:

فيها ثلاث فوائد:

أ- الاختصاص بيد الله تعالى فهو الذي فضّل بعض النبيين على بعض، وفضل بعض الشهور على بعض، وفضل بعض الأوقات على بعض، وحتى فضل بعضل المأكولات على بعض ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الرعد: 4].

ب- ليلة القدر هي في حقيقتها فرصة لإطالة العمر؛ فألف شهر تعادل ثلاث وثمانين عامًا وأربعة أشهر تماماً، وقد ذكر المفسرون أن معنى الآية أن العبادة في ليلة القدر خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. ومتوسط عمر الإنسان من 60 إلى 70 سنة، وقد جاء في الحديث: (أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين، وأقلهم من

يجوز ذلك)[رواه الترمذي وابن ماجه] فكأن الله تعالى يقول لنا ليلة القدر خير من العمر كله..1

ج- ليست العبرة بطول الأعمار إنما بحسن الأعمال، فليس المهم أن تمتد الحياة ولكن المهم أن تكون مليئة بالطاعة، ورحم الله ابن سينا حينما كان يدعو قائلاً: "اللهم إني أسألك حياة عريضة وإن لم تكن طويلة"، ورُبَّ لحظة واحدة هي في جوهرها خير من الحياة كلها؛ ولحظة واحدة من الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تساوي الكثير، تدخلهم تحت قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: 100].وهذا ما يجعلنا نتعرض لنفحات الله، ونتعرض لمواسم الخير.

3- سلام هي حتى مطلع الفجر:

ورد في الحديث أن الله هو السلام، والسلام هو اسم من أسماء الله تعالى، وكون ليلة القدر هي ليلة سلام وهي أول ليلة نزل فيها القرآن، فالله يريد للعالم السلام والأمان، ويريد سلام المجتمع من الرذيلة، وسلامة القلوب والنفوس من الأحقاد، ويريد سلامة

العلاقات من الانحراف، وغيرها من أنواع السلام في الأمة بل في العالم أجمع.

4- ليلة القدر ولادة للإسلام على وجه الأرض:

فهي يجب أن تكون نقطة بداية في حياة المسلم لا نقطة عابرة، ويجب أن تكون نقطة تحول في حياته لا أن تكون مجرد ذكر لها طقوس معينة.

5- كثير من الناس يفهمون الحديث في قيام ليلة القدر فهمًا مجتزءًا: فليس معنى من قام ليلة القدر هي العبادات المختلفة فقط، ولكن معنى القيام يضاف له معنى آخر هو أن نعمل بمقتضيات ليلة القدر بعد انتهائها، وهذا هو القيام الأمثل لليلة القدر.

6- دعاء ليلة القدر:

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة قال: قالت عائشة رضي اللع عنها، أرأيتَ إن وافقتُ ليلة القدر ما أقول؟ قال: تقولين: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني". وفي رواية الترمذي عن عائشة – رضي الله عنها–: "قالت: قلت يا رسول الله: أرأيتَ إن علمتُ أيُّ

ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) [قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح].

ملاحظة: حول زيادة (كريم) في حديث الدعاء ليلة القدر، حيث ورد الحديث من طرق عديدة، وخرجه أصحاب الجوامع والسنن والمسانيد، ولم يذكر أحد منهم فيه زيادة اسم (كريم)، وإنما اقتصر الجميع على الدعاء المشهور: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)، ولكن وقع في سنن الترمذي بعد قوله: (عَفُوٌّ) زيادة: (كريم)! ولا أصل لها في شيء من المصادر ممن نقل عنها، فالظاهر أنها مدرجة من بعض الناسخين أو الطابعين؛ فإنها لم ترِد في الطبعة الهندية من "سنن الترمذي" التي عليها شرح "تحفة الأحوذي" للمباركفوري (4 / 264)، ولا في غيرها.

وإن مما يؤكد ذلك: أن النسائي في بعض رواياته أخرجه من الطريق التي أخرجها الترمذي، كلاهما عن شيخهما قتيبة بن سعيد بإسناده، دون الزيادة.

ما أجمل الولادة من جديد!

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) [رواه لبخاري ومسلم].

وفي رواية للترمذي : (غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه).

وهذا الحديث كقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:197].

وَالرَّفَث: اِسْم لِلْفُحْشِ مِنْ الْقَوْل، وَقِيلَ: هُوَ الْجِمَاع.

قال الحافظ ابن حجر: "وَمَعْنَى (كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمّه) : أَيْ بِغَيْرِ ذَنْب، وَظَاهِره غُفْرَان الصَّغَائِر وَالْكَبَائِر".

لكن هذا الفضل والثواب لا يعني سقوط الحقوق الواجبة، سواء كانت حقوقاً لله تعالى، كالكفارات والنذور، وما ثبت في ذمة الإنسان من زكاة لم يؤدها، أو صيام يلزمه قضاؤه، أو كانت حقوقاً للعباد كالديون ونحوها، فالحج يغفر الذنوب، فيسقط عنه ذنب التأخير فقط، ولا يسقط هذه الحقوق باتفاق العلماء.

قال المناوي في فيض القدير: "وإليه ذهب القرطبي والقاضي عياض، وقال الترمذي: هو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحق اللّه لا العباد ".

وذهب الإمام ابن المنذر رحمه الله وجماعة من أهل العلم إلى أن الحج المبرور يكفر جميع الذنوب ؛ لظاهر الحديث المذكور.

فما أجمل الولادة من جديد!

والعبد الفقير ذاهب إلى الحج صباح اليوم الجمعة، فاللهم اجعلها حجة خالصة لوجهك الكريم لا رياء فيها ولا سمعة.

اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً، وتقبله مني بقبول حسن، وأعدني كما ولدتْني أمي وقد دفنت الماضي بآثامه وأثقاله يا رب.

ما حكم الأعياد؟ وما عيد المسلمين؟

أعياد المسلمين المنصوص عليها؛ عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك.

وما لم يكن منصوصًا عليه فللناس فيه موقفان:

1- موقف المنع لأنه بدعة.

ويحتج أصحاب هذا الموقف المانع بحديث أنس قال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ) [أخرجه أبو داود 1134، والنسائي 1556، وأحمد 12416].

فكل ما سوى هذين العيدين بدعة، فأعياد المسلمين لا يشاركهم فيهما أحد لأنهما يأتيان بعد عبادة عظيمة، فعيد الفطر السعيد بعد انتهاء فريضة الصوم، وعيد الأضحى المبارك بعد انتهاء مناسك الحج.

وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: «يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا» [أخرجه البخاري952، ومسلم 892].

2- وموقف الجواز لعدم النهى عن منعه .

وأصحاب هذا الرأي المجيز قالوا: يُرد عليه بأن الحديث لم يحصر الأعياد فيهما بل ذكر فضلهما على أعياد أهل المدينة التي نقلوها عن الفرس؛ ومنها عيد النيروز في مطلع السنة الجديدة في فصل الربيع، وعيد المهرجان في فصل الخريف، وبدليل صحيح ما ورد من تسمية الجمعة عيداً عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الجمعة فليغتسل. رواه ابن ماجه

والجمعة يوم المزيد للمسلمين إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا.

*وقد قسم بعض العلماء الأعياد إلى نوعين؛ دينيَّة ودنيويَّة.

فالدِّينيَّة تنقسم إلى:

أ- منصوص عليها مثل: الفطر والأضحى، فهذا متفق عليه بين العلماء جواز الاحتفال به واللعب واللهو المباح بشرط ألا تنتهك حرمة، وألا ترتكب معصية.

ب- وغير المنصوص عليه مثل: المولد النبوي، الإسراء والمعراج، الهجرة فللعلماء فيه قولان :

الأول: المنع لأنه بدعة.

الثاني: الجواز لعدم النص على منعه.

أما الأعياد الدنيويَّة فتنقسم إلى قسمين:

الأول: ما لا يَمُتّ إلى عقيدة فاسدة مثل عيد النصر، عيد الجلاء، عيد الثورة، قال بعضهم: وهذا جائز الاحتفال به ما لم تُنتَهَكْ حرمة أو ترتكب معصية، وأرى -والله أعلم- أن الاحتفال بهذه الأعياد خلاف الأولى؛ لأن الصحابة لم يحتفلوا بعيد بدر أو عيد أحد أو عيد الخندق أو غيرها من أيام انتصاراتهم.

الثاني: ما يرتبط بعقيدة فاسدة مثل: عيد الحب، وعيد الأم، حيث خصصوا يوماً للأمهات كل عام، مع العلم أن الإسلام جعل الاهتمام بالأم على مدار السنة، وليس مرتبطاً بيوم محدد، ويكفي أن

نقرأ قوله تعالى في حق الأبوين: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23-24].

فأمهاتنا مقدسات كل يوم وكل ساعة وكل حين، وبأي وقت قمنا ببر الوالدين فهو عيد سعيد.

ما هو التغيير الحقيقي يا صديقي؟!

في رمضان عام 1991م استيقظتُ وإذا بي لا أستطيع الحراك بسبب ألمٍ شديد في الورك، فحملني أخي على ظهره للسيارة، وذهبتُ إلى الطبيب المشهور بحلب (مصطفى قنواتي) فأشار علي بالعملية الجراحية فوراً؛ لكنني رفضت العملية بتوفيق الله ولم أقتنع بكلامه، وطلبت تغيير الطبيب فدلّوني على الطبيب (سعدون حمادة)، فحوّلني الطبيب إلى مستشفى الجامعة بحلب، نمتُ فيها ليلة واحدة فقط لا أنساها في عمري فقد وقعت لي فيها أحداث كثيرة ومثيرة، وقبيل أذان المغرب جلب لي أخي طعام الإفطار مع جريدة (الجماهير) كي أتسلى بقراءتها، فتركت مقالة فيها أثراً بالغاً في حياتي وكان عنوانها: (إذا لم تعجبك حياتك فبدّلها).

نعم؛ التبديل والتغيير أساس سنن الله في الكون؛ وضع الله عز وجلَّ محورها لكي لا نذهب بعيداً باحثين عن حلول لمشاكلنا، فقال جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد: 11].

قال المفسرون في هذه الآية: «إن الله لا يغير ما بقومٍ من النعمة والإحسان، ورغد العيش، حتى يغيّروا ما بأنفسهم؛ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله تعالى إلى البطر بها، فيسلبهم الله إياها عند ذلك».

التغيير في النفوس والأمم والشعوب قضية بالغة الأهمية، ولكن تغيير الحال لا يكون بالتمني والأماني، بل بالعمل الجاد؛ والنية الخالصة الصادقة؛ والسلوك القويم.

حلَّ بنا رمضان وهلَّ هلال شهر التغيير، ثم حزم أمتعته مسافراً وحاملاً معه حصيلة أعمالنا من خير أو غير ذلك، والأمة مثخنة بالجراح والآلام، من سورية المكلومة، إلى العراق الباكية، إلى الأقصى الأسير، إلى غزة الدامية:

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلدٍ تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

وكلهم يصرخ وينادي ما الحل لأزماتنا ؟!

الحل الحقيقي يا صديقي هو في هذا الدرس الرمضاني العظيم، درس التغيير وإصلاح النفوس والقلوب، ففي شهر رمضان كُلَّ شيء قد تغيّرَ، حيث فتّحت أبواب الجنان، وغلّقت أبواب النيران، وصفّدت

الشياطين، وغيَّرَ المسلم فيه كثيراً من الطباع والروتين الذي تعوّد عليه، فامتنع عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وضبط نفسه عن السب والشتم والرفث والخوض فيما لا يعنيه.

فهل رياحُ التغيير التي أحدثها هذا الضيفُ الكريم في حياتنا اكتسحت ما بدواخلنا لإحداث نقلةٍ نوعية تُصلِح أوضاعَنا وتُغيّر ما بنا من سوء؟

لا يمكن أن نشفى من الألم دون تغيير، ولا يمكن أن نصل لمبتغانا ومراد حياتنا قبل أن تصطف مع الناس في محطة التغيير!

بعث الله الأنبياء والمرسلين إلى البشرية ليصنعوا التغيير الذي يريده الله سبحانه وتعالى في بني الإنسان، وظل قادة العالم في شتى الميادين والمجالات يبحثون عن التغيير الإيجابي من خلال وضع قطار البشرية نحو سكة الوجهة الصحيحة بعد طول انحراف وتخبط، لأن الجمود وتوقف التغيير يعني النهاية والإفلاس، فالماء الجاري إذا خالطه النجس دفعه الجزء الثاني الذي يتلوه فيه فيغلبه ويغيِّرُه فيصير في معنى المستهلك ويخلفه الطاهر الذي لم يخالطه النجس، أما الماء الراكد فلا

يدفع النجس عن نفسه! لذلك يتأثر بأية نجاسة؛ ولذلك قيل في المثل: "كُلّ حَرَكَة فِيها بَرَكَة".

إن التغيير الحقيقي يا صديقي يبدأ من داخلك؛ فيشع النور عليك وعلى جوارحك في الخارج، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:53].

وقال حكيم: همس رجل في أذني: أريد أن أتغيَّر؟! لكن العمر قد تقدم!

فكان جوابي: عندما تتغيَّر سوف تولد من جديد!

قرار التغيير قرار تاريخي، لأنه يعني ولادتك من جديد، فلا تطيل التفكير فيه، فهو علامة قوة وبه تنتصر على نفسك وعلى عدوك.

والتغيير لا يعني الفوضى ولا التقليد الأعمى، ولا يعني التمسك بالقشور وترك الجوهر، كما لا يعني نسف المقدسات والثوابت ولا التفريط بالهوية الإسلامية والقيم والمبادئ!

حينما قرر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتغير تحوَّل من إنسان كان يعبد صنماً مصنوعاً من تمرٍ إلى زعيم أمة وثاني خليفة للمسلمين!

وعندما قرر سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يتغير؛ تحول من راعٍ للغنم إلى فقيه الأمة في عصره!

ولما قرر العز بن عبد السلام أن يتغير طلب العلم متأخراً وهو ابن الحادي والخمسين ومات بعد ثلاثين عام وهو سلطان العلماء ومجدِّد القرْن!

ويقال بأن شركة (نوكيا) قررتْ أن تتغير فتحوَّلت من شركة أخشاب فاشلة إلى شركة اتصالات عابرة للقارات!

وقررت كوريا أن تتغير فتحولت من ثاني أفقر بلد في العالم إلى قلعة عالمية في التكنولوجيا والصناعة والعلوم!

وقررت ماليزيا أن تتغيّر فتحوّلت من بلد يعيش على المساعدات إلى واحدة من أكبر الدول العشر الصناعية عالمياً!

وعاشت جنوب أفريقيا أسيرة للعنصرية فقررت أن تتغير فصارت واحة للتعايش والحرية!

وقررت تركيا أن تتغير فتضاعف دخل المواطن التركي خمسة أضعاف في عشر سنوات فقط!

كان غاندي يقول: "كن أنت التغيير الذي تريد أن تراه في العالم".

بمعنى إذا أحببت التغيير فكن أنت البداية، ولا تنتظر أن تتغير الظروف من حولك! وإذا صمّمتَ على التغيير فلا بد لك من الإعداد والتعهد، فالفكرة التي لا تسقى تموت، والمشروع الذي لا يتطور يتدهور، والوصول للقمة قد يكون سهلاً لكن البقاء عليها يحتاج عيناً لا تنام؛ وفكراً لا يهدأ؛ وروحاً لا تستسلم!

مرحباً بشهر الخير و التغيير

شكَّل نزول القرآن الكريم – على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم– واحدة من الثورات الفكرية الفريدة، التي بقي تأثيرها فاعلاً قرونًا عديدة، حقَّقت الأمة من خلالها إنجازات عظيمة، فهو شهر التغيير والنصر الحاسم في معارك الإسلام الخالدة:

•غزوة بدر، وكانت في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة.

•فتح مكة، وكانت في العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

•معركة القادسية، كانت في رمضان سنة ستة عشر للهجرة، بقيادة سعد بن أبي وقاص.

•فتح بلاد الأندلس، كان في رمضان سنة 92 هـ، بقيادة طارق بن زياد.

•معركة الزلاقة، وهي في جنوب دولة إسبانيا حاليًّا، كانت في سنة 479 هـ.

•ومعركة عين جالوت، كانت في رمضان سنة 658 بقيادة السلطان قطز، والقائد العسكري بيبرس.

•وموقعة حطِّين، كانت في رمضان سنة 583هـ بقيادة صلاح الدين الأيوبي.

كان التغيير يحدث في هذا الشهر تحقيقًا للقاعدة الربانية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

من هنا أحثُّ اليوم وأحضُّ في هذا الشهر الكريم (شهر رمضان المبارك) إلى ميزة عظيمة جدًّا مِن مزاياه، هي سانحة في غيرِه، لكنَّها فيه تكون أسهلَ وأميز، إنَّها ميزة التغيير!

ما منَّا من أحد إلا وله عاداتٌ سيِّئة ومعاصٍ مألوفة لا يستطع الفكاكَ أو التخلِّي عنها، بَيد أنَّ الوضع يختلف تمامًا في هذا الشهر الكريم، فكم مِن إنسانٍ غيَّره رمضان، وساعده الصيام والقيام، والاستعانة بالله على ترْك كلِّ ما مِن شأنه أن يحُول بينه وبيْن الطاعة أو يتسبَّب في غفلته وإبعاده عنِ الله تعالى.

فالمتعين على كل أحدٍ منا أن يبحَث عن التغيير، ويقوم بحصْر أبرز عاداته وأخطائه التي تمْنعه مِن الرفعة والسمو، ويعمل على استبدالها مِن أعمال الخير والنَّماء.

من هذه الأخطاء سرعة الغضب: فهناك مَن يَغضب لأتفهِ الأمور ويصنع مِن هذا السبب بدايةً للقطيعة والعداء، وكان مِن الأدعَى أن يتغافلَ عن أخطاء الآخرين التي لا يترتَّب عليها مفسدةٌ، وقد نُقِل عنِ الإمام أحمد أنَّه قال: "تِسعة أعشار السعادة في التغافُل".

وقد قال عليه الصلاة والسلام: (ليس الشديدُ بالصُّرعة، إنَّما الشديدُ الذي يملك نفسَه عندَ الغضب) [متفق عليه].

ومن هذه الأخطاء أيضاً إساءة الظن: ما أجملَ أن نُعوِّد أنفسنا جميعًا على إحسانِ الظن بالآخرين، واستدعاء المحامل الحسنة، قال جعفرُ بن محمد: "الْتمِسْ لأخيك أكثرَ مِن سبعين عذرًا".

ومنها الاستهانة بالغِيبة والنميمة: حريٌّ بكلِّ عاقل أن يتورَّع عن هذه الكبيرة مِن الآن، وأن يترُك كُلاًّ وشأنه، ولا أظنُّ الأمر مُكلِّفًا على مَن صَدَق، سيَّما ونحن في شهر الصدق والفضيلة.

ومنها الحسد: وقد قيل ما خلا جسدٌ من حسَد، للدلالةٌ على أنَّه يعرِض لكل الناس ولا يَسلَم منه أحد، لكن هناك مَن لا يدفعه ولا يجاهِد في تركه، أمَّا الصادق فلا يبوِّئ للحسد مكانًا، فهو يحبُّ للآخرين ما يحبه لنفسه.

هذه مُجرَّد أمثلة، وإلا فالواقع متضلِّع بالعادات الخاطِئة والممارسات المقيتة.

أما أثر التغيير السياسي لشهر رمضان على هذه الأمة فلا يمكن إغفاله أبدًا؛ ذلك أن مفهوم الصيام: التزام الشرع في بوتقة ترد الأمة إلى منهج واحد: في التصور، والاعتقاد، والتكافل، ويمنحها فرصة حقيقية للتغيير.

فإذا كان شهر رمضان هو شهرَ الانعتاق من النار في الآخرة؛ فقد آن لأمة القرآن أن تنعتق من ظلم الحكام الظلمة والطغاة المجرمين، وجَور الطواغيت، وتُعلن التمرد على شياطين البشر، وتتوحَّد في وحدة شعورية مع جراحات المنكوبين، فتتداعى لمصائب المظلومين: في سوريا، واليمن، وفلسطين، والعراق، وكل البلاد المنكوبة والمنهوبة؛ لتكون بحق أمة القرآن والصيام.

ففي الحديث: من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه..!

ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له .. لا بدَّ من التغيير إذن..!

في شهر رمضان شهر الثورة على كل شيء من العادات السيئة والممارسات القبيحة؛ نحتاج إلى ممارسة عبادة التغيير.. !

نعم يا رمضان ستنجح ثواراتنا المشروعة في عالم الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي؛ عندما تنجح تلك الثورات أولاً في تغيير نفوسنا إلى الأفضل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[سورة الرعد:11].

هذا عيدنا أهل الإسلام

بمناسبة اقتراب عيد الفطر السعيد أعاده الله علينا وعلى جميع المسلمين بالسعادة والعزة والخير والبركات والمجد والعودة إلى دين الله غز وجل، أذكر أحبتي بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في يوم العيد مع ملاحظة إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد:

عليك أخي المسلم بالحرص على إخراج زكاة الفطر التي جعلها الله عز وجل طهرة للصائم من اللغو والرفث قبل صلاة العيد.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة) أي صلاة العيد". [متفق عليه].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام (بُرٍّ وحنطة)، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من زبيب، أو صاعاً من أقط) "والأقط: هو اللبن المجفف". [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات).[رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم، وصححه].

ومقدار زكاة الفطر صاع وضبط الصاع بالأرطال في زماننا متعسر جداً، حيث إن كل شيء تقريباً أصبح يقدر بالوزن، وقد قال الإمام النووي رحمه الله في روضة الطالبين: "قد يستشكل ضبط الصاع بالأرطال، فإن الصاع المخرج به في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيال معروف، ويختلف قدره وزناً باختلاف جنس ما يخرج، كالذرة والحمص وغيرهما". انتهى.

واختلف العلماء في تقديره على أقوال: فمنهم من قدره بـ 2040 غراماً، ومنهم من قدره بـ2176 غراماً، ومنهم من قدره بـ2751 غراماً، ومنهم من قدره بـ 3000 غراماً، وأختار خير الأمور الوسط: 2500غرام من غالب قوت البلد، وهذا هو الذي أميل إليه وأختاره.

واختلف الفقهاء في إخراج زكاة الفطر بالقيمة نقوداً على قولين:

الأول: (قال به جمهور الأئمة والفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة) وهم يَرَون أنه يتعين أداؤها صاعاً من أحد أنواع الطعام المذكورة في الأحاديث، ولا يجوز عنده إخراجُهَا بالقيمة نُقُودًا.

وذلك لكونها في نظر هذا الرأي عبادة وقربة إلى الله تعالى، نص الشارع الحكيم على كيفية أدائها، وبيَّنها، وهي تنطوي على أسرار شرعية وفوائد اجتماعية ملحوظة.

الثاني: (وهو رأي الأحناف وقال به بعض علماء التابعين ومن بعدهم؛ كعمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وسفيان الثوري) وهم يرون جواز إخراجها بالقيمة نقداً، وذلك نظراً منهم إلى المقصد الشرعي من إيجابها على الكبير والصغير من المسلمين، وهو إغناء الفقراء والمساكين بها عن الطواف على الناس وسؤالهم ما يقتاتونه من طعام في ذلك اليوم، وإدخال السرور عليهم بها، كما يدل له حديث: (أَغْنُوهُمْ عَنْ السُّؤَالِ فِي هَذَا الْيَوْمِ) "يعني يوم الفطر" [رواه الحاكم]، بل قد يكون في بعض الأوقات والأحوال أولى وأَفضل للمُتَصَدَّق عليه كما يراه بعض العلماء.

وإن عيد الفطر عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قصة الجاريتين اللتين كانتا تغنيان عند النبي صلى الله

عليه وسلم: (يَا أَبَا بَكْرٍ دَعْهُمَا فإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا) [رواه البخاري].

وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَوْمُ الفِطْرِ وَيَوْمُ النَّحْرِ وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ) [رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، والحاكم].

وأما أحكام عيد الفطر وآدابه:

1- فأولها التكبير يوم العيد ويبتدأ من ثبوت العيد وينتهي بصلاة العيد.

وقد قال الله تعالى ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:185].

وصيغة التكبير الثابتة عن الصحابة رضي الله عنهم : (الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً)

و (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر ولله الحمد) ويحسن الاقتداء بها.

2- الاغتسال لصلاة العيد ولبس أحسن الثياب والتطيب لذلك.

3- الأكل قبل الخروج من المنزل على تمرات أو غيرها قبل الذهاب لصلاة عيد الفطر.

4- الجهر في التكبير في الذهاب إلى صلاة العيد.

5- الذهاب من طريق إلى المصلى والعودة من طريق آخر.

6- صلاة العيد في المصلى هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحرص عليها وادع لها، وإن صليت في المسجد لسبب أو لآخر جاز ذلك.

7- اصطحاب النساء والأطفال والصبيان دون استثناء حتى الحيض والعواتق وذوات الخدور من النساء كما جاء في صحيح مسلم، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (أَمَرَنَا تَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُخْرِجَ فِي الْعِيدَيْنِ الْعَوَاتِقَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ وَأَمَرَ الْحُيَّضَ أَنْ يَعْتَزِلْنَ مُصَلَّى الْمُسْلِمِينَ).

8- أداء صلاة العيد ركعتان يكبر في الأولى سبع تكبيرات غير تكبيرة الإحرام وفي الثانية خمس تكبيرات قبل الفاتحة أيضاً، ويسن أن يقرأ الإمام فيهما سورة الأعلى والغاشية كما في

صحيح مسلم عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ).

9- التهنئة بالعيد ثابتة عن الصحابة رضي الله عنهم، ولم تثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح، وأما عن الصحابة فعن جبير بن نفير قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى يوم العيد يقول بعضهم لبعض : "تقبل منا ومنك" قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله إسناده حسن.

تقبل الله منا ومنكم، وكل عام وأنتم بخير.

يوم عرفة.. هنيئاً لمن عرفه!

الإنسان لا ينفك عن الخطأ مهما كان صلاحه فكل ابن آدم خطاء، إلا أنه يمر بمحطات تنقية وفرص تزكية كصيام يوم عرفة، يكفّر سنتين، فاقتنصها الموفق، وفرط بها المحروم.

وفي هذا العام يجتمع يوم عرفة ويوم جمعة في يوم واحد، وهو يوم مبارك.

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه و سلم: أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟) [أخرجه مسلم].

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً!

قال أي آية؟

قال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة:3].

قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة.

يقول ابنُ حجر رحمه الله تعالى:

«واستدِلَّ بهذا على مزيَّةِ الوقوف بعرفةَ يومَ الجمعةِ على غيره من الأيام؛ لأنَّ الله إنما يَختار لرسوله الأفضل، وأنَّ الأعمالَ تَشْرُف بشرف الأزمنة والأمكنة، ويومُ الجمعة أفضل أيامِ الأسبوع»[1].

وقد ذكر الإمام ابن القيم . رحمه الله . في زاد المعاد (1/60-65)، عشر مزايا فقال:

"ولهذا كان لوقفة الجمعة يومَ عرفة مزية على سائر الأيام من وجوه متعدّدة:

١ /اجتماعُ اليومين اللذين هما أفضلُ الأيام.

٢ /أنه اليومُ الذي فيه ساعة محققة الإجابة، وأكثر الأقوال أنها آخر ساعة بعد العصر وأهل الموقف كلُّهم إذ ذاك واقفون للدعاء والتضرع.

1- فتح الباري8/121.

٣ /موافقتُه ليوم وقفة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم.

٤ /أن فيه اجتماعَ الخلائق مِن أقطار الأرض للخطبة وصلاة الجمعة، ويُوافق ذلك اجتماعَ أهل عرفة يومَ عرفة بعرفة ، فيحصُل مِن اجتماع المسلمين في مساجدهم وموقفهم من الدعاء والتضرع ما لا يحصُل في يوم سواه.

٥ /أن يوم الجمعة يومُ عيد ، ويومَ عرفة يومُ عيد لأهل عرفة.

٦ /أنه موافق ليوم إكمال اللّه تعالى دينَه لعباده المؤمنين، وإتمامِ نعمته عليهم، كما ثبت في "صحيح البخاري" عن طارق بن شهاب قال: جاء يهوديٌ إلى عمرَ بنِ الخطاب فقال: يَا أَمِيرَ المؤمِنِين آيَةٌ تَقْرَؤونَهَا في كِتَابِكُمْ لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ وَنَعْلَمُ ذَلِكَ اليَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ ، لاتَّخَذْنَاهُ عِيداً ، قَالَ: أيُ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة:3] فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: «إِنِّي لأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالمكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؛ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَنَحْنُ وَاقِفُونَ مَعَهُ بِعَرَفَةَ».

٧ /أنه موافق ليوم الجمع الأكبر، والموقفِ الأعظم يومِ القيامة، فإن القيامة تقومُ يومَ الجمعة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ) [مسلم كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة].

٨ /أن الطاعةَ الواقِعَة مِن المسلمين يومَ الجُمعة، وليلةَ الجمعة، أكثر منها في سائر الأيام، حتى إن أكثرَ أهل الفجور يَحترِمون يوم الجمعة وليلته.

٩ /أنه موافق ليوم المزيد في الجنة، وهو اليومُ الذي يُجمَعُ فيه أهلُ الجنة في وادٍ أَفْيحَ، ويُنْصَبُ لهم مَنَابِرُ مِن لؤلؤ، ومنابِرُ من ذهب، ومنابرُ من زَبَرْجَدٍ وياقوت على كُثبَانِ المِسك، فينظرون إلى ربِّهم تبارك وتعالى، ويتجلى لهم، فيرونه عِياناً.

١٠ /أنه يدنو الرّبُّ تبارك وتعالى عشيةَ يومِ عرفة مِن أهل الموقف، ثم يُباهي بهم الملائكة فيقول: "مَا أَرَادَ هؤُلاءِ، أُشْهِدُكُم أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم" وتحصلُ مع دنوه منهم تبارك وتعالى ساعةُ الإجابة التي لاَ يَرُدُّ فيها سائل يسأل خيراً فيقربُون منه بدعائه والتضرع إليه في تلك

الساعة، ويقرُب منهم تعالى نوعين من القُرب، أحدهما: قربُ الإجابة المحققة في تلك الساعة، والثاني: قربه الخاص من أهل عرفة ، ومباهاتُه بهم ملائكته".

حزمَ الحجيجُ متاعهم و تأهّبوا
و أنا فؤادي في قوافلهم مضى

سلكوا إلى الله العظيمِ بشوقهم
و انا البعيدُ حنين شوقي من لظى

أكرمتهم يا ربّ شدّ رحالهم
و كسيتهم بالجودِ ثوبًا أبيضا

فتقبّل اللهمّ صوت دعائهم
وأعظم لنا بالأجرِ، و ارزقنا بالرّضا

فهنيئًا لمن وقف على أرض عرفة في يوم الجمعة.. تقبل الله نسكهم، ونسأل الله أن لا ينسونا من دعواتهم، اللهم اجعلها جمعة خير وبركة وأمان.

الفصل الثاني

عبق الإيمان

بسم الله رب الغلام

الوجدان أو الضمير: هو إحساس أخلاقي عال المستوى يفوق القواعد المبدئية للأفكار وكل الأيدلوجيات الوضعية؛ كونه من المعجزات الربانية التي تتجاوز الحدود المرسومة لقيم العدالة أياً كان نوعها، فالضمير إذن مجموعة مُثُل عالية المآب؛ تمزج في مفاهيمها ما بين الدين والأخلاق، وتحسن صناعة القرار الأكثر عدلاً وإنصافاً..!

حينما تنتحر الإنسانية على الشاطئ، هروباً من الموت إلى الموت، الهروب من المدافع والقنابل والكيماوي والغازات السامة ،والمجازر اليومية والموت من الجوع، إلى الموت غرقاً فى البحار والمحيطات، فموت هذا الملاك (إيلان الكردي) هو موت الإنسانية كلها، وفضح وقبح للضمير العالمي؛ بل عار على العالم المتحضر، والقاتل الحقيقي هم الدول الكبرى..!

في يوم الأربعاء الماضي، الثاني من أيلول- سبتمبر، أصدر «المجلس الإسلامي السوري» وثيقة قال: إنها تاريخية حول المأساة السورية بعنوان «خطاب إلى الضمير العالمي» وذلك خلال مؤتمر صحفي عقده في المجلس بمدينة اسطنبول التركية.

أطلق المجلس نداءً إلى الضمير العالمي والمنظمات الحقوقية والدولية، لوقف التدمير الممنهج والإبادة الجماعية في بلدٍ تعدّ «مهد الحضارات والرسالات في العالم» .

واتهم المجلس في وثيقته النظام العالمي بالعجز عن «إنصاف المظلومين» في سورية، وحماية مطلبهم بنيل الحريات والحقوق، واصفاً موقف بعض الدول (بالتواطؤ) مع نظام الإجرام.

وفي وقت مبكر من يوم الأربعاء نفسه؛ انطلق بعض اللاجئين السوريين على متن زورقَيْن من شبه جزيرة (بودروم) التركية قاصدين جزيرة (كوس) اليونانية، ولكن الزورقيْن اللذيْن كانوا يستقلونهما غرقا، وتم انتشال 12 جثة لاحقاً، بما فيها جثث 5 أطفال..!

وتم نشر صورة الطفل الصغير (إيلان الكردي) الذي يرتدي قميصاً أحمر وجثته ملقاة على شاطئ البحر قرب (بودروم) بعد وقت قصير من وقوع الحادث، وتشهد صورته على موت الضمير العالمي..!

قد يكون من السهل عند الدول المتحضرة نسيان حقيقة الوضع المأساوي الذي يواجهه العديد من اللاجئين السوريين، ومع ذلك فإن ردود الفعل القوية التي أحدثتها صورة الطفل الغريق، لم تصدر إلا بعض ردود فعل قليلة من جانب السياسيين الأوروبيين، وصمتاً

مطبقاً ومريباً من جميع وسائل الإعلام العربي، وهو وصمة عار على جبينهم لا يمكن أن تمحوها الأيام..!

ولولا الإعلام البديل الحر وتناقل المغردين على صفحات التواصل الاجتماعي لصور (إيلان) الطفل الغريق وبعض الصور لمن لقوا نحبهم غرقاً وإرفاقهم لهاشتاغ «الإنسانية تلفظ على الشاطئ» و (بحر الموت المتوسط)، لما ذكر المأساة أحد، ولعبر كما تعبر جميع المجازر التي تقع في سورية..!

والسؤال الذي يفرض نفسه أين الضمير العالمي؟

إن غرق (إيلان الكردي) هارباً من الموت دون أن تترك أثراً في وجدان الإنسانية لشهادة على موت الضمير العالمي..!

ولا أعول على ضمير العرب فهم مفلسون دائماً، ولم يكن لهم دور يذكر في الأحداث العربية نفسها التي حصلت مؤخراً، اللهم إلا المواقف السلبية الخسيسة، والجامعة العربية عاجزة خرساء إلا عن العهر السياسي، وأمينها العام العربي غير النبيل يعلن عن أسفه الشديد لما يعانيه الشعب السوري ويقول: إن الجامعة عاجزة عن حل مشكلة اللاجئين السوريين، فهو جزء من منظومة المحنَّطين العرب،

والضمير العالمي في إجازة، بل هم الشهود على مأساة العصر وهم المنفذون لها ..!

ولكن السؤال الأهم: ألا يوجد في العالم أحرار؟!

هل سيبقى العالم متعامياً صامّاً أذنيه إزاء القتل الذي يجري في سورية؟

ومتى يستيقظ ويصحو ضمير أحرار العالم؟!

وأخيراً: أقول لأحرار العالم الإسلامي، علينا أن نقرأ ولا ننسى الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، حيث يذكر فيه قصة الغلام المؤمن والراهب وأصحاب الأخدود، (بِسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ) ففيها العظات والدروس وأنواع العبر.

وقد أورد الحديثَ الإمام النووي في رياض الصالحين في باب الصبر، ولو كنتُ محل الإمام النووي لبوَّبْتُ باباً أسميتُه (باب التضحية بالنفس) و لدبَّجْتُ الباب به.

(الفاروق عمر والشاب القاتل وأبو ذر) .. قصة فيها نظر

كنا طلبة في الجامعة فذكر لنا أحد الأساتذة حادثة؛ ذكَّرني بها أخي أبو الفداء محمد القدور حفظه الله تعالى؛ حيث سألني عن مدى صحتها جزاه الله خيراً، فأحببت الرد على القصة ونشرها هنا لتعم الفائدة إن شاء الله.

هذه الحادثة تذكر بعدة روايات متشابهة على الشبكة العنكبوتية وفي (الفيس بوك والواتس أب) وغير ذلك من البرامج كثيراً؛ وبأساليب مشوقة للعوام بقصد التعجب والإعجاب، تقول أهم أحداث القصة:

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء أشخاص ممسكين بشاب وقالوا: يا أمير المؤمنين نريد منك أن تقتص لنا من هذا الرجل فقد قتل والدنا؟

قال له عمر بن الخطاب: لماذا قتلته؟

قال الرجل : إني راع للإبل وأعز جمالي أكل شجرة من أرض أبيهم، فضرب الجمل أبوهم بحجر فمات، فأمسكت الحجر نفسه وضربته به فمات !

قال عمر: إذن سأقيم عليك الحد!

قال الرجل : أمهلني يا أمير المؤمنين ثلاثة أيام، فقد مات أبي وترك لي كنزاً أنا وأخي الصغير؛ فإذا قتلتني ضاع الكنز؛ وضاع أخي من بعدي !

فقال عمر: ومن يضمنك؟

فنظر الرجل في وجوه القوم ثم قال: هذا الرجل – وأشار إلى أبي ذر– رضي الله عنه.

فقال عمر: يا أبا ذر هل تضمن هذا الرجل؟

فقال أبو ذر: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: إنك لا تعرفه وإن هرب أقمت عليك الحد !

فقال أبو ذر: أنا أضمنه يا أمير المؤمنين !

ورحل الرجل ومرّ اليوم الأول والثاني والثالث، وكل الناس كانت قلقلة على أبي ذر؛ وقبل صلاة المغرب بقليل جاء الرجل وهو يلهث وقد أشتد عليه التعب والإرهاق ووقف بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

قال الرجل : لقد سلمت الكنز وأخي لأخواله وأنا تحت يدك لتقيم علي الحد !

فاستغرب عمر وقال: ما الذي أرجعك؟ كان بإمكانك أن تهرب؟!

فقال الرجل : خشيت أن يقال لقد ذهب الوفاء بالعهد من الناس !

فسأل عمر أبا ذر: لماذا ضمنته؟ !

فقال أبو ذر: خشيت أن يقال لقد ذهب الخير من الناس!

فتأثر أولاد القتيل وقالوا: لقد عفونا عنه!

فقال عمر: لماذا؟!

فقالوا: نخشى أن يقال: لقد ذهب العفو من الناس!

(هنا انتهت القصة).

❖ **التعليق وبيان كذب القصة:**

أولاً: مسألة الكفالة بالبدن في الحد والقصاص: مسألة خلافية بين العلماء ولهم فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا تصح الكفالة ببدن من عليه حد، سواءً كان حقاً لله تعالى أو لآدمي، وهذا مذهب الحنفية [انظر: المبسوط:106/9]، والمالكية [انظر: المدونة:487/4]، والحنابلة [انظر: المغني:98/7]، وقول عند الشافعية [انظر: مغني المحتاج:276/2].

ودليلهم: حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: (لا كفالة في حد) أخرجه البيهقي في كتاب الضمان، باب ما جاء في الكفالة ببدن من عليه حق، كما أخرجه ابن عدي في الكامل وضعفه: [انظر: نصب الراية:59/4].

القول الثاني: لا تصح الكفالة ببدن من عليه حد لحق الله تعالى، دون من وجب عليه حق لآدمي، وهذا مذهب الشافعية [انظر: تحفة المحتاج:259/5].

ودليلهم: أن حقوق الآدميين من القصاص ونحوه، مبنية على المشاححة، بخلاف حدود الله فهي مبنية على المسامحة [انظر: مغني المحتاج:276/2].

القول الثالث: تصح الكفالة في الحدود والقصاص، سواءً كان حقاً لله تعالى أو لآدمي، وهي رواية عن أحمد، واختاره ابن تيمية [انظر: الإنصاف:210/5].

ودليلهم: حديث بريدة في قصة الغامدية التي اعترفت بالزنا، وفيه قال: "فقال لها: حتى تضعي ما في بطنك، قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت" [أخرجه مسلم في كتاب الحدود].

ووجه الدلالة: أنه نص صريح على كفالة الأنصاري لها في حد من حدود الله، ومثله حقوق الآدمي من باب أولى.

ويرد على هذا القول بأن حد الزنى حق لله تعالى، وهو مبني على الستر، ولذا رددها في الاعتراف لعلها ترجع، وحقوق الله مبينة على المسامحة؛ ولهذا يترك الزاني إذا هرب؛ إذ يُعَدُّ ذلك رجوعاً منه عن إقراره كما في الحديث في قصة ماعز لما هرب من حرِّ الحجارة قال: (فهلا تركتموه) [رواه أحمد:431/3].

والراجح – والله أعلم – هو القول الأول؛ لأن الكفالة في البدن لا عوض له إذا تعذر إحضاره؛ إذ لا يمكن الاستيفاء من الكفيل في الحد والقصاص، ولأن ذلك يفتح المجال للمجرم أن يهرب وخاصة في هذا الزمان الذي قلت فيه الأمانة والخوف من الله تعالى، ثم إن ذلك أقرب لمقاصد الشارع.

ثانياً: بيان كذب القصة:

أما هذه القصة فذكرها محمد بن دياب الإتليدي في كتابه (نوادر الخلفاء) المشهور بـ (إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس) بعنوان: (عمر والشاب القاتل وأبو ذر)، لكنها قصة مكذوبة وموضوعة ومنكرة للأسباب التالية:

أولاً: الإتليدي عند ذكره القصة في كتابه يقول: قال القاضي شرف الدين حسين بن ريان، وبينه وبين القاضي 400 سنة تقريباً..!

ثانياً: حين ذكر الإتليدي القصة بدأها بقول القاضي شرف الدين حسين بن ريان: أغرب ما سمعته من الأخبار، وأعجب ما سمعته عن الأخيار...ثم ذكر القصة، وبين القاضي شرف الدين حسين بن ريان وبين الصحابة 700 سنة تقريباً، وهو لم يذكر رجلاً واحداً ممن روى عنه..!

ثالثاً: القصة لم تروَ بهذا الشكل والتفاصيل التي يروّج لها أصحابها على شبكة الأنترنت أو برامج التواصل الاجتماعي كالفيس بوك والوتس أب وغيرهما!

رابعاً: يرويها الإتليدي في كتابه بالسجع المشهور في العهد العباسي، لو تكلم الغلام بمثلها أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأوجعه بالدرة.

خامساً: دقق في قولِ مختلقِ القصة: (وكل الناس كانت قلقلة على أبي ذر!) كيف يقيم عمرُ بن الخطاب الحدّ على أبي ذر رضي الله عنهما دون جناية بمجرد الكفالة ! وأين ذهب فقه الصحابة رضي الله عنهم؟!

سادساً: لاحظ أن واضعها يزين له الشيطان أن يحسن القصة لزيادة الإغراب والإعجاب وينسب الكلام للقاتل: (خشيتُ أن يقالَ لقد ذهبَ الوفاءُ بالعهدِ من الناس!) ثم ينسب لأبي ذر قوله: (خشيتُ أن يقالَ لقد ذهبَ الخيرُ من الناس!) ثم ينسب لذوي الدم قولهم: (نخشى أن يقالَ: لقد ذهبَ العفو من الناس)!

ولسان حال واضعها ومختلقها يقول: وضعتها حتى لا يقال ذهب الكذب من الناس!

سابعاً: من قال بأنها من قصص التاريخ والأخبار التي يذكرونها في كتبهم مما لا ينبني عليها حكم نقول: بل ينبغي ردها حتى لا يأتي أحد ممن يتساهل في ذكر الأدلة الصحيحة ويبني على أساسها حكماً شرعياً كمسألة (الكفالة بالبدن في القصاص والحدود) وهي مسألة شرعية لها أهمية واضحة؛ كما فعل بعض الأفاضل جهلاً منهم بحقيقة القصة.

ثامناً: القصة مكذوبة على أمير المؤمنين عمر وموضوعة ولا ينبغي روايتها إلا لبيان أنها مكذوبة فقط؛ كما هو مقرر في علم مصطلح الحديث حول الأحاديث الموضوعة، ولا فرق بين الحديث المكذوب والحديث الموضوع في اصطلاح أهل العلم، فتارة يعبرون عنه بإحدى العبارتيْن وربما عبروا عنه بالمختلق، أو بالمصنوع كما جاء في المقدمة البيقونية:

والكذب المختلق المصنوع على النبي فذلك الموضوع

الاشتقاق الكُبَّار أو النحت في اللغة العربية

التعريف: الاشتقاق الكبَّار أو النحت في أصل اللغة: "هو النشر والبري والقطع" [لسان العرب لابن منظور].

يقال: نحت النجَّار الخشب والعود إذا براه وهذَّب سطوحه، ومثله في الحجارة والجبال؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: 149].

والنحت في الاصطلاح: أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذَّة تدلُّ على ما كانت عليه الجملة نفسها، ولما كان هذا النزع يشبه النحت من الخشب والحجارة سمي نحتًا.

وهو في الاصطلاح عند الخليل بن أحمد: "أَخْذُ كلمة من كلمتين متعاقبتين واشتقاق فعل منها"[1].

1- انظر: العين؛ للخليل بن أحمد؛ تحقيق: مهدي المخزومي وغيره، ط دار الرشيد ببغداد، سنة 1980م: 60/1.

ويعد عبدالله أمين هو أوَّل مَن أطلق هذه التسمية (الاشتقاق الكُبَّار) على النحت؛ فيقول: "وقد أسميته الكبَّار بالثقيل؛ لأن الكبَّار أكبر من الكبَار بالتخفيف، والنحت أكبر أقسام الاشتقاق السابقة" [الاشتقاق: ص391].

ويعتبر الخليل بن أحمد (ت 175هـ) هو أوَّل مَن اكتشف ظاهرة النحت في اللغة العربية حين قال: "إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقُرْبِ مخرجيهما، إلاَّ أن يشتقَّ فعل من جمع بين كلمتين مثل (حي على) كقول الشاعر:

أَقُولُ لَهَا وَدَمْعُ العَيْنِ جَارٍ أَلَمْ يَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ المنَادِي؟!

فهذه كلمة جمعت من (حي) ومن (على)، ونقول منه (حيعل، يحيعل، حيعلة..." [العين للخليل: 60/1].

وقد انفرد العلامة محمود شكري الألوسي حين أدرج النحت في باب الاشتقاق الأكبر! فقال: "و(النحت) بأنواعه، من قسم (الاشتقاق الأكبر)"[1].

1- الاشتقاق والتعريب، للشيخ عبدالقادر بن مصطفى المغربي: ص13.

وهذا الإدراج غير مرض لأن الاشتقاق أن تنزع من كلمة، أما النحت فأن تنزع من كلمتين أو أكثر، وتسمى الكلمة المنزوعة منحوتة.

صور النحت في اللغة العربية:

لقد ورد النحت في اللغة العربية على صور عديدة أهمها:

1- تأليف كلمة من جملة لتؤدِّي مؤدَّاها، وتفيد مدلولها، كـ(بسمل) المأخوذة من (بسم الله الرحمن الرحيم)، و(حيعل) المأخوذة من (حي على الصلاة، حي على الفلاح)، وما ورد في كلام العرب:

لَقَدْ بَسْمَلَتْ لَيْلَى غَدَاةَ لَقِيتُهَا فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ الحَبِيبُ المُبَسْمِلُ

2- تأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه، عند ذكر النسبة إلى المركب الإضافي إذا كان عَلَمًا؛ كـ(عبشمي) في النسبة إلى عبدشمس، و(عبدري) في النسبة إلى عبد الدار.

3- تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر، من ذلك (طبرستان) و(خوارزم) مثلاً، تنحت من اسميهما اسمًا واحدًا على صيغة اسم المنسوب، فتقول: (طبرخزي)؛ أي: منسوب

إلى المدينتين كلتيهما، ويقولون في النسبة إلى أبي حنيفة والشافعي (حَنَفْشَعِي).

ومنه أيضاً: (لن) الناصبة، ويرى الخليل أنها مركبة من (لا) النافية و(أن) الناصبة و(هلم): يرى الفرَّاء أنها من (هل) الاستفهامية، ومن فعل الأمر (أُمَّ) بمعنى أقصد وتعال، وقيل: إنها مركبة من (هاء التنبيه) و(لم) بمعنى ضم، و(أيَّان) الشرطية مركبة من (أي، آن) فحذفت همزة (آن) وجعلت الكلمتان كلمة واحدة متضمنة معناهما، ووجود هذا رهن الخلافات بين العلماء.

ويذكر سيبويه عما يقال في هذا العصر مِن مثل: (اقْعُدْ عَلْكُرسي، وصلَّ عالنبي، واقفز عَلْمَاء، وركبتُ عَلْفَرس): هي عربية.

وقد أورد القدماء تركيبين مستعملين، هما:

1- حذف النون والواو من (بنو)، في مثل: (بنو الحارث، وبنو العنبر)، فيُقال: بَلْحَارث، وبَلْعَنْبر، ويستخدم هذا الحذف في بلاد المغرب العربي الآن كثيراً مثل: بَلْحَسَن وبَلْغَرْبي.

2- حذف اللام والألف من (على)، في مثل: (على الماء)، فيُقال: عَلْمَاء، عَلْكُرسي، عَالَلُوح.

ولكن للأسف الشديد الآن بزعم الاختصار يكتبون بالوسائل الحديثة في لغة تدوين المحادثات: (ع المكتب) =على المكتب، (فالبيت)=في البيت، وحينما يأتون للاختصار المطلوب لغوياً يناقضون أنفسهم بإضافة الحروف خطأ مثل: (لم أرى)= لم أرَ، و (ذهبتي)=ذهبتِ..!

الغرض من النحت:

الغرض هو تيسير التعبير بالاختصار والإيجاز، فالكلمتان أو الجملة تصير كلمة واحدة بفضل النحت، يقول ابن فارس: "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك مثل: (رجل عبشمي) منسوب إلى اسمين"[1]، هما عبد وشمس.

وهناك تأويلات ألفاظ قائمة على وجوه فكهة يمكن حملها على النحت؛ وذلك كالذي أورده الجاحظ (ت 255هـ) عن أبي

1- الصاحبي؛ لابن فارس: ص227.

عبدالرحمن الثوري، إذ قال لابنه: "...أي بني، إنما صار تأويل الدرهم دار الهم، وتأويل الدينار، يدني إلى النار".

ومنه: "كان عبد الأعلى إذا قيل له: لِمَ سمي الكلب سلوقيًّا؟ قال: لأنه يستلُّ ويلقي، وإذا قيل له: لم سُمِّي العصفور عصفورًا؟ قال: لأنه عصى وفر"[1].

مذهب ابن فارس في النحت:

لقد استهوت ابن فارس فكرة النحت وطبَّقها على أمثلة كثيرة في كتابه "مقاييس اللغة"، فخرج علينا بنظرية مفادها: أن أكثر الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف، منحوت من لفظين ثلاثيّيْن.

يقول ابن فارس في كتابه (مقاييس اللغة) : "اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبًا في القياس يستنبطه النظر الدقيق؛ وذلك أن أكثر ما نراه من كلماته منحوت، ومعنى النحت: أن تُؤخَذ كلمتان وتُنحَت منهما كلمة تكون آخِذة منهما جميعًا بحظ، والأصل في

1- البخلاء؛ للجاحظ؛ تحقيق طه الحاجري، ط دار المعارف بمصر، سنة 1958م: ص106.

ذلك ما ذكر الخليل من قولهم: (حيْعَل) الرجل إذا قال: (حي على)"[1].

ومن هنا نستنتج أن ابن فارس مسبوق في نظريته؛ حيث يتحتَّم من نصِّه في "المقاييس" بأن الخليل بن أحمد قد سبقه في مذهبه المذكور وأنه يسير على طريقته في ذلك.

ويقول ابن فارس في كتابه "الصاحبي": "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وهذا مذهبنا في الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف، فأكثرها منحوت؛ مثل قول العرب للرجل الشديد: (ضبطر)، من (ضبط وضبر)"[2].

هذا وقد وقف مجمع اللغة العربية من ظاهرة النحت موقف المتردِّد في قبول قياسيَّته حتى تجدَّد البحث أخيرًا حول إباحته أو منعه؛ فرأى رجال الطب والصيدلة والعلوم الكيماوية والحيوانية والنباتية في إباحته وسيلة من خير الوسائل التي تساعدهم عند ترجمة المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية.

1- مقاييس اللغة، لابن فارس؛ تحقيق عبدالسلام هارون، ط دار إحياء الكتب العربية سنة 1366هـ:328/1، 329.

2- الصاحبي، لابن فارس: 271.

ومن هنا انتهى مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى قرار سنة 1948م يفيد: "جواز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحَّة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة"[1].

وهكذا نجد أن النحت وسيلة رائعة لتنمية اللغة العربية وتجديد أساليبها في التعبير والبيان.

1- اللغة والنحو، عباس حسن، ط دار المعارف بمصر سنة 1966م: ص245.

الحسبة في الإسلام

سُئِلتُ في الفترة الأخيرة كثيراً عن الحِسْبة، ما هي وما الدليل عليها؟ وما شروطها ووسائلها؟ ووعدتُ أن أكتب فيها يوماً، واليوم أفِي بوعدي والحمد لله رب العالمين.

الحسبة لغة: بكسر الحاء وتسكين السين، اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد. والاحتساب مأخوذ العد والحساب. يقال: حسبت الشيء أحسبه حساباً وحسباناً، إذا عددته.

ومنه قول الله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:96].

ويندرج تحت هذا المعنى العد احتساب الإنسان الأجر عند الله تعالى إذا اعتد فيما يدخره عند الله تعالى وعليه حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه إني أحتسب خطاي هذه ،أي أعدها في سبيل الله تعالى.

أما في الاصطلاح فقد عرفها جمهور الفقهاء بأنها :

ولاية دينية يقوم وليُّ الأمر – الحاكم – بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقاً لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقاً لشرع الله تعالى، والحسبة تمثل الرقابة التطبيقية العامة على قيم المجتمع الإسلامي ، باعتبارها وظيفة دينية خلقية وقاعدتها وأصلها هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:104].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) [رواه ابن ماجه].

وأجمعت الأمة على مشروعية الحسبة ووجوبها، والحسبة لا يقتصر على تغيير المنكر الظاهر فحسب وإنما يشمل كل ما يفعل ويراد به ابتغاء مرضاة الله تعالى كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدقة

والأذان، والإقامة وأداء الشهادة، والجهاد في سبيل الله، وجميع أنواع البر.

حُكم الحِسبة: فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.

الحِكمة من مشروعيتها: إقامة حجة الله على خلقه:

كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:165].

وأول من مارس الحِسبة في التاريخ الإسلامي هو رسول الله صلى الله علية وسلم فقد كان يمشي في الأسواق وينهى عن الغِش والتطفيف في الكيل والميزان، روى أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: (يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ مَا هَذَا ؟) قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ)، ثُمَّ قَالَ (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) [رواه ابن ماجه].

وسار على دربه أصحابه وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين، وعندما توسعت رقعة الدولة الإسلامية صار يتوجب على ولاة أمور المسلمين

تعيين من يرؤه أهلاً للقيام بالحِسبة؛ ويمدونه بما يحتاج إليه من الأعوان والوسائل اللازمة لذلك، ويفضونه صلاحية البحث عن المنكرات في الأسواق والطرقات وفي أماكن تجمُّعات الناس فيؤدب مرتكبيها ويحذرهم من اقترافها.

وتشير العديد من المصادر التاريخية أن الحاضرة اليونانية قد عرفت نظاماً اقتصادياً انتشر مع انتشار السيطرة اليونانية بالبلدان تضمن تعيين ما يدعى (اغورانوموس) أي صاحب السوق والواقع أن هذا النظام قد اتسم بطابع مادي صِرف تحدّد بالإشراف على أمور السوق والتأكد من صحة المكاييل وجودة المتاجر والبضاعة المعروضة للبيع وسلامة المعاملات التجارية، كما أن اليونان قد قاموا بتطبيق هذه الصيغة بعد تحديدها في المدن التي سيطروا عليها ثم احتفظ الرومان والبيزنطينيون بها وطوروها فكانت تلك المدن تخضع لسلطان صاحب السوق.

وقد حصر بعض الفقهاء وسائل دفع المنكرات في الآتي :

1- شرح المنكر للناس.
2- النهي بالنصح والوعظ.
3- النهي بالقول الغليظ .

4- التغيير باليد لذات المنكر .

5- التهديد والتخويف.

6- مباشرة الضرب .

7- الاستعانة بالغير.

وهذه الوسائل متدرجة مع المنكر، والترتيب فيها واجب؛ فلا يجوز الضرب قبل الوعظ، والتوجيه والإرشاد، والغاية منها التربية والتوجيه وفق ما شرع الله للمحافظة على القيم الإسلامية.

الشروط الواجب توافرها في المحتسب، منها:

1. أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً عدلاً .

2. أن يكون ذا رأي وصرامة في الدين عارفاً بأحكام الشريعة ومقاصدها .

3. أن يكون مواظباً على سنن الرسول صلى الله عليه وسلم.

4. أن يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى وطلب مرضاته، خالص النيّة لا تشوبه شائبة رياء ولا مِراء، ويتجنّب في رياسته منافسة الخلق ومفاخرة أبناء الجنس؛ لينشر الله عليه رداء القبول والتوفيق.

5. أن يعمل بما يعلم ولا يكون قولُه مخالفاً لفعلِه.

6. أن يكون عفيفاً عن أموال الناس متورّعاً عن قبول الهديّة من المتعيشين وأرباب الصناعات فإنّ ذلك رِشوة له.

7. أن تكون الدعوة إلى الخير مثمرة بحيث تمنع صاحب المنكر من التمادي في منكره.

8. أن يكون المحتسب حال الدعوة آمناً على نفسه من الوقوع في خطر يهدِّد حياته أو ماله أو أهله.

وقد "كان المحتسب يزور المدارس والكتاتيب بين حين وآخر ليتأكد من سلامة المحلاّت، ومراعاة قانون الاعتدال في تأديب الصبيان وقواعد الشريعة في تعليمهم وكان يمنع أدعياء العلم من التصدّي لتعليم الناس أو علاجهم أو الفتوى لهم في الأحكام أو الجلوس للفصل في قضاياهم وربّما كانت جولاته التفتيشيّة في مؤسّسات التعليم تتناول أيضاً حضور بعض الدروس والاطّلاع على مناهج الدراسة وكتبها"[1].

1- الحسبة المذهبيّة في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورّها، لموسى لقبال وهي رسالة " ماجستير" نوقشت في جامعة الجزائر: 71.

وفيما يتعلّق بصحة مستخدمي السوق، فقد كان "المحتسب يمنع طرح النفايات والجيف في الأسواق والطرقات، كما يمنع الخضارين وغيرهم عن طرح أزبالهم في الطرق"[1].

فمهام المحتسب تتعلّق "بالمعاملات المنكرة من غِشّ المبيعات وتدليس الأثمان فينكره ويمنع منه ويؤدّب عليه بحسب الحال فيه ... فإن كان هذا الغِشّ تدليساً على المشتري ويخفي عليه؛ فهو أغلظ الغشّ تحريماً وأعظمها مأثماً فالإنكار عليه أغلظ، والتأديب عليه أشدّ، وإن كان لا يخفى على المشتري كان أخفّ مأثماً وألين إنكاراً"[2].

وفقه الواقع يعدّ من أولويات المحتسبين الناظرين في المعاملات التجاريّة لحماية المصالح الاجتماعيّة دون الإخلال بأحكام الشريعة وأصولها ومقاصدها.

لقد اهتم ممثلوا (الاتجاه التاريخي) بدراسة نشأة الحسبة وتطورها تاريخياً، مع إيلاء عناية خاصة بدراسة علاقتها بالجانب السياسي أو الإطار التنظيميِّ لشؤون الدولة.

1- الحسبة والمحتسب في الإسلام، د. نقولا زيادة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1963م: 146.

2- الأحكام السلطانيّة، للما وردي: 253.

وضمن هذا السياق نُجد مؤلفات أكاديمية تُعنى بدراسة موضوع الحسبة في حقب تاريخية محدَّدة، وأغلبها يكون عبارة عن أطروحات جامعية؛ كأطروحة الباحثة سهام مصطفى أبو زيد «الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي»، التي أعدتها بكلية البنات جامعة عين شمس بمصر سنة 1970.

وأخيراً: كتب عمرو بن عبيد الله إلى عبد الله بن شبرمة يعذِله في تخلُّفه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكتب إليه عبد الله بن شبرمة:

الأمر يا عمرو بالمعروف نافلةٌ والعاملون بـه لله أنصـارُ

والتاركون له ضَعْفاً لـهم عُذْر والَّلائِمون لهم في ذاك أَشرارُ

الأمرُ يا عمرو لا بالسيفِ تشهِرُهُ على الأئمّة إنّ القتل إضرارُ

تركستان.. جرح ينزف

(تركستان) مصطلح فارسي تاريخي يتكون من مقطعين: (ترك) و (ستان) ويعني أرض الترك.

وتركستان: منطقة واسعة آسيا الوسطى وتنقسم حالياً إلى قسمين:

1- تركستان الشرقية أو الصينية ‘‘ وقد أطلق الصينيون على تركستان الشرقية اسم " شينجيانغ "، وتعني الوطن الجديد أو المستعمرة الجديدة، والمسلمون في تركستان الشرقية كلهم سُنَّة أحناف.

2- تركستان الغربية تشمل خمس جمهوريات إسلامية استقلت حديثًاً عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، وهي جمهوريات: كازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان وطاجيكستان وقرغيزستان.

وعاصمة تركستان هي مدينة "كاشغر" التي فتحها القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي، وهي أشهر مدن تركستان الشرقية وأهمها.

تضرب جذور الاسلام عميقة في بلاد التركستان فهي بلاد إسلامية منذ الفتح العربي لها على أيدي القادة العظام أمثال قتيبة بن مسلم الباهلي 88-96 هجرية الذي ما أن فرغ من توطيد اركان الاسلام في التركستان الغربية حتى بادر الى تركستان الشرقية وفتح بعض اجزائها ومن بعده بدأت ثمار الاتصال الحضاري بين الاسلام والحضارات الاخرى الموجودة بالمنطقة وكان أن تحول التركستانيون الى الاسلام تحت قيادة زعيمهم ستوق بغراخان خاقان الامبراطورية القراخانيةعام 323 هـ 943 م وكان إسلام هذا الزعيم الكبير نتيجة للجهود الدعوية الخيرة وقد أسلم معه أكثر من مائتي ألف خيمة (عائلة) أي ما يقارب مليون نسمة تقريباً.

ولعب القراخانيون المسلمون هؤلاء دوراً هاماً في نشر الإسلام بين القبائل غير المسلمة ففي سنة 435 هـ 1043 م استطاعوا استمالة أكثر من عشرة الاف خيمة من خيام القرغيز الى الاسلام واظهروا الخضوع للخليفة العباسي.

وكان للأتراك الشرقيين نصيب كبير من مشاهير العلم النبوي الشريف وعلوم الحضارة الإسلامية المختلفة أمثال البخاري والترمذي والبيهقي والفارابي وابن سينا والخوارزمي وأبو الريحان البيروني والزمخشري وأبو الليث السمرقندي وأبو منصور الماتريدي ومحمد بن الحسين الفارقي

المشهور بابن نباتة والامام الزاهد المحدث عبد الله بن مبارك ومواطنه الفضيل بن عياض والإمام المحدث سفيان الثوري وآخرين لا حصر لهم خدموا الحضارة الإسلامية وأصبحوا من أعلامها الكبار.

تمتلك تركستان احتياطيًّا ضخمًا من البترول، وتمتلك من الفحم ما يعادل 600 مليون طن، وبها ستة مناجم تحوي أجود أنوع اليورانيوم في العالم، كما يتم استخراج الذهب من 56 منطقة، بواقع 360 كيلو جرام سنويًّا، وبها أيضًا مناجم الملح، والكريتال، ومناجم للحديد الذي يستخرج من حوالي 550 موقعًا.

ويوجد في تركستان أنهار منها نهر تاريم ونتيجة لوجود هذا النهر الذي يبلغ طوله 1600 كم، فإن الأراضي المحيطة به خصبة وزراعية.

ويمر فيها طريق الحرير وهي الجسر الذي طالما ربط قارة آسيا بأوربا، وبحيرة طانري وبوجدا وهما من أعلى البحيرات في العالم.

عهد الاضطهاد والاستبداد:

جاءت أسرة المانشو إلى الحكم في الصين سنة (1054هـ/ 1644م)، وكانت الأوضاع المستقرة للمسلمين في الصين، وبدأ

عهد أسرة مانشو؛ بحملة من الاضطهاد والعذاب للمسلمين في الصين، اضطر معها المسلمون إلى رفع السلاح -لأول مرة في تاريخ الصين- سنة (1058هـ/ 1648م)، مطالبين بالحرية الدينية، وهو ما كلفهم الكثير من الدماء والأرواح، حيث قتل أكثر من مليون مسلم، ولم تهدأ ثورات المسلمين طوال مائة عام، لكنها قمعت بقسوة شديدة، وصلت إلى حد المذابح والإبادة الجماعية.

وأعلنوا رسميًّا أن الإسلام خروج على القانون، واتخذوا المساجد أندية لجنودهم، والمآذن مداخن، وأرغموا المسلمات على الزواج من الصينيين، ورفعوا شعار " ألغو تعاليم القرآن" وكانت هذه الفظائع تجري خلف أسوار الصين وبتحالف مع روسيا، دون أن يدري بها أحد في العالم الإسلامي، واستولى الصينيون على تركستان الشرقية سنة (1174 هـ/ 1760م).

وبدأ الاحتلال الصيني يرسل أعدادًا هائلة من العاطلين عن العمل والعسكريين وعائلاتهم إلى تركستان ويشجعهم مع الحوافز المغرية وذلك لتغيير التركيبة السكانية على الأرض، وجعل المسلمين أقلية في بلادهم، ليس لهم حقوق، ولا يملكون من أمرهم شيئًا.

ولم تكتفِ حكومة الصين بالتأثير على الدين والثقافة والتاريخ، بل تعدت ذلك بالآثار المدمرة التي تركتها التفجيرات النووية على البيئة والإنسان فجعلت تركستان حقلاً لتجاربها النووية أيضاً.

لم يقف العالم الإسلامي إلى جانب المسلمين في تركستان، وبدلاً من إظهار التضامن مع إخوانهم المسلمين قام البعض منهم – مثل كازخستان وقيرغيستان وطاجكستان وأوزبكاستان– بالتضامن مع الصين لمكافحة ما يسمونه بـ"الأصولية الإسلامية".

حفظ النصوص.. وكيف استفاد الغزالي من اللصوص؟!

العلم هو أشرف المصالح و أتم المنافع، و شرفه حاصل له من جهة معلومه المتعلق به، قال القرافي في فروقه: "العلم و ضبط الشريعة، وإن كان فرض كفاية غير أنه يتعيّن له طائفة من النّاس و هي من جاد حفظهم، ورقَّ فهمهم، وحسُنَت سيرتهم، وطابت سريرتهم، فهؤلاء يتعيّن عليهم الاشتغال بالعلم... فالجهاد يصلح له عموم الناس، فأمره سهل، و ليس الرمي بالحجر و الضرب بالسيف كضبط العلوم، فكل بليد أو ذكي يصلح للأول ولا يصلح للثاني إلا من تقدم ذكرهم، فافهم ذلك"[1].

وحجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد، الطوسي، الغزالي ولد في مدينة طوس سنة (450هـ) وتوفي (505هـ) فقد عاش خمسين ونيفاً من السنين أنتج لأمته مؤلفات عظيمة كثيرة تزيد على أربعمائة مؤلف.

1- أنوار البروق في أنواء الفروق، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ): 1/ 146.

وكان أبي حامد الغزالي- رحمه الله – شديد الذكاء، سديد النظر، عجيب الفطرة، مفرط الإدراك، قوي الحافظة، بعيد الغور، غواصًا على المعاني الدقيقة، جبل علم ، مناظرًا، محجاجًا.

بعد عودته – من جُرجان، – حيث كانت رحلته الأولى في طلب العلم- مكث بمسقط رأسه "طوس" ثلاث سنين، يُراجع ويستظهر حصيلةَ ما تعلّمه.

ونجد لدى ابن السُّبكيّ، تعليلاً لهذا المسلك، يتمثّل في حادثةٍ وقعت لأبي حامد الغزاليّ، في طريقِ عودته من جُرجانَ، يحكيها في معرض كلامه، عن أبي حامد الغزاليّ، وعن المرحلة الأولى من مراحل حياته العلميّة، قائلاً:

"قَرَأَ فِي صباهُ طرفاً من الْفِقْه بِبَلَدِهِ، على أَحْمد بنِ مُحَمَّد الراذكانيّ، ثمَّ سَافر إِلَى جُرجان، إِلَى الإِمَام أبي نصر الْإِسْمَاعِيلِيّ، وعلَّق عَنهُ التَّعليقة، ثمَّ رَجَعَ إِلَى طوس.

قَالَ الإِمَامُ أسعد الميهنيُّ: فَسَمعتُه يَقُول:

قُطِعت علينا الطَّرِيقُ، وَأخذ العيَّارون جَمِيع مَا معي ومضَوا؛ فتبعتُهم، فَالْتَفتَ إِلَيَّ مقدَّمُهم، وَقَالَ: ارْجع وَيحك، وَإِلَّا هَلَكتَ!

فَقلت لَهُ: أَسأَلك بِالَّذِي ترجو السَّلامَة مِنْهُ، أَن تَرُدَّ عليَّ تعليقتي فَقَط، فَمَا هِيَ بِشَيْءٍ تنتفعون بِهِ.

فَقَالَ لي: وَمَا هِيَ تعليقتُك؟

فَقلت: كُتبت فِي تِلْكَ المِخلاة، هَاجَرت لسماعها وكتابتها وَمَعْرِفَة علمهَا!

فَضَحِك، وَقَالَ: كَيفَ تَدَّعِي أَنَّك عرفتَ علمهَا، وَقد أخذناها مِنْك، فتجرَّدت من مَعْرِفَتهَا، وَبقيتَ بِلَا علم!؟

ثمَّ أَمر بعض أَصْحَابه، فَسلَّم إِلَيَّ المخلاة.

قَالَ الْغَزالِيّ: فَقلت: هَذَا مستنطِقٌ أنطقه اللهُ ليرشدني بِهِ فِي أَمْرِي؛ فَلَمَّا وافيتُ طوسَ؛ أقبلتُ على الِاشْتِغَال ثَلَاث سِنِين، حَتَّى حفظتُ جَمِيع مَا علَّقتُه، وصرت بِحَيْثُ لَو قُطع عليَّ الطَّرِيقُ؛ لم أتجرَّد من علمي".

يقول ابنُ السُّبكيّ: "وَقد روى هَذِه الْحِكَايَة عَن الْغَزالِيّ أَيْضا الْوَزير نظام الْملك كَمَا هُوَ مَذْكُور فِي تَرْجَمَة نظام الْملك من ذيل ابْن السَّمْعَانِيّ"[1].

قال عبيد الله الصيرفي:

ليس بعلم ما حوى القِمطرُ ما العلم إلا ما حواه الصدرُ

ومن العجائب التي يذكرها الغزالي أيضًا عن حادثة قطاع الطرق أنه فيما هو "جالس ينظر إلى اللصوص قام أحدهم فتوضَّأ وصلى، فعجب منه أبو حامد وقال له: تُصلي وأنت قاطع طريق المسلمين؟ فقال له: صِلة بيني وبين ربي أحافظ عليها.

وبعد سنين عددًا حجَّ الغزالي إلى بيت الله الحرام، وفي أثناء الطواف لقي صاحبه قاطعَ الطريق وسأله: أأنت ذلك الرجل؟ فقال: أما قلت لك: الصلاة صلة بيني وبين ربي؟ فقد تبتُ والحمد لله!

لا تقطع الصلة التي بينك وبين الله ولو كانت شَعرة"[2].

1- طبقات الشَّافعيَّة الكبرى، السبكي: 195/6.

2- انظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي ج 4، وسير أعلام النبلاء، الذهبي: 13، وتاريخ دمشق، ابن عساكر.

قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه (الثبات عند الممات) قال أحمد – أخو الإمام الغزالي :

"لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلى، وقال: علي بالكفن، فأخذه وقبله، ووضعه على عينيه وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مد رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار، قدس الله روحه، ودفن في مقبرة الطابران ولم يعقب إلا البنات".اهـ

تعليقاً على ما مضى أقول:

صحيح أن الكتابة قيد للعلم كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة

ولكن لا ينبغي لطالب العلم أن يكتفي بالكتابة فقط؛ بل لا بد له من قسط وفير في الحفظ.

وقد جاءت الوصية بحفظ العلم قرآنًا وسنَّة، فأما القرآن ففي الحديث: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ) [رواه مسلم: 1342].

وكان جبريل يراجع حفظ النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن كل سنة مرة، وقبل وفاته راجع معه الحفظ مرتين، في الصحيحين عن فاطمة رضي الله عنها وصلى الله وسلم على أبيها قالت: أسرَّ إلي – تعني أن أباها حدثها سراً فقال لها– إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب".

وأما السنَّة، فقد بوَّب البخاري في كتاب العلم بابًا بعنوان: تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويُخبروا من وراءهم، وجاء فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه علمهم أركان الإسلام ونهاهم عن أشياء ثم قال لهم: (احفظوهنَّ وأخبروا بهنَّ من وراءكم) [متفق عليه].

قال هبة الله البغدادي:

علمي معي أينما يَمَّمْتُ يَتبعُني
بَطني وعاء له لا بطن صندوقِ

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي
أو كنت في السوق كان العلم في السوقِ

(حكم الإقلاب): خطأ لغوي شائع

تعلمنا منذ نعومة أظفارنا على أحكام تجويد القرآن الكريم، ومنها: أحكام النون الساكنة والتنوين وهي أربعة: الإدغام، والإخفاء، والإظهار، والإقلاب!

فالإدغام: من أدغم أي أدخل حرفاً في حرف، أدغم يدغم إدغاماً.

والإخفاء: من أخفى أي لم يظهره، أخفى يخفي إخفاء.

والإظهار: من أظهر الشيء أي بيَّنه، أظهر يظهر إظهاراً.

أما الإقلاب؟! فهو مصدر فعل رباعي كأخواتها من الإدغام والإخفاء والإظهار، أي ينبغي أن يكون فعله (أقلب) لكنه ليس في اللغة العربية فعل (أقلب) حتى يصاغ منه (إقلاب)، بل في اللغة فعل ثلاثي هو (قلب: أي حوَّل الشيء عن وجهه) قلب يقلب قلْباً، كفِعْلِ: فتح يفتح فتحاً، ونصر ينصر نصراً، فلا يجوز لأحد أن يقول: إفتاح، أو إنصار، أو إقلاب!

فـ (الإقلاب) خطأ لغوي شاع استخدامه عند عامة المجوِّدين ومدرِّسي علم التجويد، يقولون: "إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف

الباء، نحو: (منْ بعد) تقلب النون الساكنة ميماً، ونحو: (سميعاً بصيراً) يقلب التنوين قبل الباء ميماً أيضاً؛ وهذا الحكم (إقلاب)!

وكان حق علماء التجويد أن يستخدموا لفظة (قلْب) ويقولوا: هذا حكم القلْب، أو هذا الحكم قلْبٌ؛ وليس (إقلاب)!

ويبدو أنهم جاؤوا بالإقلاب مجاراة لأخواتها من (الإدغام والإخفاء والإظهار)، أو خشوا على المتلقي أن يفهمها بأنها حكم القلب الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدر!

إذن الصواب: (هذا الحكم قلْبٌ) أو (هذا حكم القلْبِ).

والله تعالى أعلم.

خطورة التصحيف والتحريف!

أصل كلمة التصحيف الخطأ في الصحيفة فيقال: تَصَحَّفَ عليه لفظ كذا .

فقد كان الناس قديماً يكتبون على الصحف بالحبر ومن هنا ينشأ الخطأ؛ حيث قد تطوى الصحيفة قبل أن يجف الحبر، فينطبع الحبر على بقية الكلام؛ أو قد تقع قطرات من الحبر؛ فتبدل النقاط فوق الحروف وتصبح النون تاء، والحاء خاء، والصاد ضاداً، والباء ياءاً وهكذا.

وأشمل التعاريف للتصحيف ما ذكره الإمام السخاوي قائلاً: "هو تحويل الكلمة عن الهيئة المتعارفة إلى غيرها". [فتح المغيث: 72/3].

والتصحيف والتحريف من أخطر ما يعتري النصوص، ويروي جلال الدين السيوطي قصة في هذا السياق تبياناً لخطورة التصحيف:

أن النصارى كفروا بسبب التصحيف حيث قال الله في الإنجيل لعيسى: «أنتَ نَبِيِّي وَلَّدتُك مِنَ البَتُول».

فصحَّفُوها وقالوا: «أنت بُنَيِّي وَلَدتُك» فصحفوا المعنى من النبوة إلى البنوة"[1].

ومن الكتب المصنفة في التصحيف كتاب: (شَرحُ ما يَقَعُ فيهِ التَّصحيفُ والتحريف) للإمام أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري الأديب، المتوفى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، الذي جمع فيه فأوعب.

وكتاب: (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف) تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: 764هـ) والذي نبه فيه إلى عموم المصيبة بالتصحيف، فقال :

"وقد فشا ذلك في المحدثين والفقهاء والنحاة وأهل اللغة ورواة الأخبار ونقلة الأشعار، ولم يسلم من ذلك غير القراء، لأنهم يأخذون القرآن من أفواه الرجال، وأما في الزمن القديم فقد وقع لبعض القراء عجايب وغرايب".

ثم ساق نماذج من تصحيفات كل هذه الطوائف.

1- تدريب الراوى في شرح تقريب النواوي.

قال عبد الرحمن البسطامي: أول من تكلم في التصحيف الإمام علي – كرم الله وجهه – ومن كلامه في ذلك: (خراب البصرة بالريح) بالراء والحاء المهملتين بينهما آخر الحروف، قال الحافظ الذهبي: ما علم تصحيف هذه الكلمة إلا بعد المائتين من الهجرة، يعني: (خراب البصرة بالزنج)، بالزاي، والنون، والجيم.

ومن بديع كلام علي – كرم الله وجهه –: (كل عنب الكرم يعطيه)، يعني: كل عيب الكرم يغطيه.

وأسوأ التصحيف ما كان في قراءة القرآن الكريم، ولا بدَّ هنا من معرفة الفرق بين التصحيف والتحريف فكثير من الناس لا يفرق ولا يدقق فيه.

قال أبو عبد الله السخاوي في كتابه: فتح المغيث:

[معنى التصحيف والفرق بينه وبين التحريف] وفي بعض ما أدرج في هذا الباب من الأمثلة تجوز بالنسبة لتعريفه ؛ فقد قال شيخنا: وإن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حرفين مع بقاء صورة الخط في السياق، فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقط فالمصحف، أو إلى الشكل فالمحرف.

ولذا قال ابن الصلاح: وتسمية بعض ذلك – يعني المذكور – تصحيفاً مجاز.

قال: وكثير من التصحيف المنقول عن الأكابر لهم فيه أعذار لم ينقلها ناقلوها.

قال غيره: ومن الغريب وقوع التصحيف في قراءة القرآن لجماعة من الأكابر، لا سيما عثمان بن أبي شيبة؛ فإنه ينقل عنه في ذلك أشياء عجيبة مع تصنيفه تفسيراً، وأودع في الكتب المشار إليها من ذلك أيضا جملة، نسأل الله التوفيق والعصمة.

فائدة : كتب سليمان بن عبد الملك إلى ابن حزم عامله على المدينة أن أحْصِ من قبلك من المخنثين . فصحَّف الكاتب، فخصاهم .

وقيل: إنه علم ذلك قبل الفعل فكف، كما قدمته في كتابة الحديث وضبطه".

وحكى ابن النديم عن ابن الراوي قال :

«مررت بشيخ وبيده مُصحف وهو يقرأ: (ولله ميزاب السموات والأرض) فسلمتُ عليه وقلتُ: يا شيخ ايش تقرأ؟ قال: القرآن: (ولله ميزابُ السموات والارض)! فقلت: وماتعني بـ (ميزابُ

السموات والأرض) قال: هذا المطر الذي ترى، فقلت: ويكون التصحيف إلا إذا كان مثلك يقرأ؟! إنما هو (ميراثُ السمواتِ والأرض).

فقال: اللهم غفراً؛ منذُ أربعين سنة أقرأها وهي في مصحفي هكذا[1]».

وذكر الخطيب أنواعاً من تصحيف عثمان بن أبي شيبة: ﴿فإن لم يُصبها وابلٌ فطِلٌّ﴾، قال: وقرأ مرةً (الخوارج مكلبين) مكان ﴿الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ ونُقل عنه أنه قرأ : (وإذا بطاسيم بطاسيم خبازين) يريد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ وقرأ أيضاً: (فضرب بينهم بسنور له ناب) فقال له بعض أصحابه: إنما هو ﴿بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ فقال: أنا لا أقرأ قراءةَ حمزة: قراءةُ حمزة عندنا بُدعة"[2].

وذكر العلَّامةُ اللغويُّ أبو أحمدَ الحسنُ العسكريُّ (ت 382) في كتابِه: (شَرحُ ما يَقَعُ فيهِ التَّصحيفُ والتحريف: 10):

1- ابن النديم: الفهرست، ص217.

2- البغدادي: الجامع لاخلاق الراوي: 1/299-300، دار المعارف، الرياض.

«باب: ما جاء في قُبح التَّصحيف وبَشاعَته، وذمِّ المصحفيِّين، والنَّهيِ عنِ الحملِ عنهُم» .

عن سليمانَ بنِ موسَى قالَ : كانَ يُقالُ : «لَا تَأْخُذوا القُرآنَ مِن مُصحَفِيٍّ ، ولَا العِلمَ مِن صُحُفيٍّ» .

وأخبرَنا ابنُ عمَّارٍ قالَ :

انصرفْتُ مِن مَجلسِ عبدِ الله بنِ عُمرَ بنِ محمَّدِ بنِ أبانَ القُرشيِّ المحدِّثِ المعروفِ بمُشكدانَه، في سنةِ ستٍّ وثلاثينَ ومِئتَينِ، فمررْتُ بمحمَّدِ بنِ عبَّادِ بنِ مُوسَى فقالَ: مِن أينَ أقبلْتَ ؟ فقُلتُ: مِن عندِ أبي عبدِ الرَّحمنِ مُشكدانَه. فقالَ: ذَلكَ الذي يُصحِّفُ على جِبريلَ؟! يُريدُ قِراءتَه: ﴿وَلَا يَغوثَ و يَعوقَ وبِشْرَا﴾ . مكانَ : ونَسرَا، وكانَت قد حُكِيت عنهُ.

وحدَّثني إسماعيلُ بنُ محمَّدِ البِشريِّ: سمعتُ عُثمانَ بنَ أبي شيبةَ يقرأُ: (جَعَل السَّفِينةَ في رِجْلِ أخيهِ)!

و يَروِي أعداءُ حَمزةَ الزَّيَّات أنَّه كان يتعلَّمُ القُرآنَ مِن المصحَفِ، فقرأَ يومًا وأبوهُ يَسمَعُ: (الم. ذَلِكَ الكِتابُ لَا زَيتَ فيه) فقالَ أبوهُ: دَعِ المصحَفَ، وتَلقَّنْ مِن أفواهِ الرِّجالِ » اهـ

قلت: ولقد سمعت الشيخ أيمن سويد حفظه الله في شرحه على الجزرية المحاضرة الثانية يقول: جاء رجل عامي يقرأ على شيخ سورة (يس) ونطقها هو(ياسين(فقرأ الرجل (يِس) بكسر الياء وتسكين السين؛ وكان الشيخ صاحب دعابة فقال: (نو) ما تقرأ هكذا!

فهذا ديدن الذين يحفظون القرآن بغير شيخ! يصحفون القرآن ويفسدون المعاني ويخرجونها عن ضبطها ومعناها.

وهذهِ الأمثلةُ المذكورةُ غالبُها مما وقعَ قبلَ نَقطِ المصحَفِ وإعجامِه وشكلِه، والتَّصحيفُ في القُرآنِ الكريمِ قليلٌ بالنِّسبةِ لما وَقعَ مِن التَّصحيفِ في غيرِه؛ لأنَّ القُرآنَ الكريمَ إنَّما أُخِذَ عن طَريقِ التَّلقِّي مِن أفواهِ الرِّجالِ، و بذلكَ حُفِظَ مِن التَّحريف والتَّصحيفِ، واللهُ تعالى يَقولُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

لذا ينبغي التشديد في هذا الباب حتى لا يؤخذ القرآن إلا عن طريق شيخ لزوماً؛ إلا من اضطر لغير ذلك فللمضطر أحكام خاصة.

وفي ذَلكَ يَقولُ أَبو حَيَّان الأندلسيُّ:

مَنْ يَأخُذِ العِلْمَ عَنْ شَيخٍ مُشافَهَةً يَكُنْ مِنَ الزَّيغِ والتَّحْريفِ فِي حَرَمِ
و مَنْ يَكُنْ آخِذَاً لِلْعِلْمِ عَنْ صُحُفٍ فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ كَالعَدَمِ

كان الحبيبُ لا يرُدُّ الطِّيب

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم المسكِ في وصف أهل الجنة، قال الله عز وجل: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ. خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: 25-26]، وقد خُتم الشَّراب برائحة المسك، لذلك استحقَّ أن يكون سيِّد أنواع الطِّيب كافّة، فالمسك كما وصفه عليه الصَّلاة والسلام فقال: «أَطْيَبُ طِيبِكُمُ الْمِسْكُ» [رواه أبو داود].

لقد كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يحب الطيب، ويكثر من التطيب، وبلغ من حبِّه صلى الله عليه وسلم للطِّيب أنه كان إذا أُهدي إليه طيب قَبِلَه ولم يردَّه، بل نهى عن ردِّه، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب [رواه البخاري]، لا بل يدعونا لقبوله أيضاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ طِيبٌ فَلَا يَرُدَّهُ، فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ، خَفِيفُ الْمَحْمَلِ» [رواه أبو داود]، قال القرطبي: "المحمل بفتح الميمين، ويعني به الحمل، والحديث يدل على أن رد الطيب خلاف السنة".

قال ابن بطال: إنما كان لا يرد الطيب من أجل أنه ملازم لمناجاة الملائكة؛ ولذلك كان لا يأكل الثوم وما يشاكله.

ويقول الحافظ في "الفتح" ردًّا على تعليل ابن بطال: "لو كان هذا هو السبب في ذلك لكان من خصائصه، وليس كذلك؛ فإن أَنَسًا اقتدى به في ذلك، وقد ورد النهي عن رده مقرونًا ببيان الحكمة في ذلك في حديث صحيح".

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دنياكُمُ النّساءُ والطيبُ وجُعِلَتْ قرةُ عينِي في الصّلاةِ» [رواه أحمد والنسائي، والحاكم في المستدرك].

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أطيب الناس ريحًا من غير تطيُّب، وإن تطيَّب يُشم طيبُه من بعيد، ويُلمَس أثره من قريب، وكان طيبه يفوح شذاه، وينتشر عبقه، فكان مَن يجالسه ينشرح له وكأنه في روضة فيحاء، وإذا مسَّ أحدهم ثوبه أو جسده، فإنه يجد ليده ريحًا طيبًا من أثر اللمس، قال أنس رضي الله عنه: ما شممتُ شيئًا قط، مسكًا ولا عنبرًا، أطيبَ من ريح رسول الله. وفي رواية: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، وما مسستُ حريرًا ولا ديباجًا ألين من كفِّ

رسول الله، ولا شممتُ مسكًا ولا عنبرًا أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم. [انظر صحيح مسلم بشرح النووي].

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: فأما أنا، فمسح خدي، قال: فوجدتُ ليدِهِ بردًا أو ريحًا، كأنما أخرجَها من جُؤْنَةِ عطّار" [رواه مسلم]، والجؤنة: السقط الذي فيه متاع العطار.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يأخذ من قارورة المسك، فيمسح على لحيته ورأسه، وثبت أنه قال: «طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ» [رواه الترمذي في الأدب، والنسائي، وهو حديث صحيح].

وورد في الأثر عن عمر رضي عنه قال: «لو كنتُ تاجراً ما اخترتُ غير العطر، إن فاتني ربحُه لم يفتْني ريحُه[1]».

قال ابن القيم في الطب النبوي: «وفي الطِّيب من الخاصيَّة، أن الملائكة تحبّه والشياطين تنفر عنه، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة

1- الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد شمس الدين المقدسي، عالم الكتب، 293/3.

المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيّبة تحب الرائحة الطيّبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها»[1].

فالرائحة الطيبة غذاء الروح، ينفع الدماغ والقلب، ويُفرح القلب، ويُسِرُّ النفس والخاطر، وكان أحد الأشياء المحبوبة من الدنيا إلى أطيبِ الطيبين شيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وأخيراً: يتردَّد سؤالٌ على ألسنة الناس كثيراً يقول السؤال: هل الكحول والكولونيا نجسة؟

الجواب: من علمائنا من يرى أنّ العطور المحتوية على الكحول محرّم استعمالها لعلّة نجاسة الكحول، ما لم تكن قد استحالتْ أثناء التصنيع استحالةً تامَّة إلى ما لا يُسْكِر، فإنها بذلك تطهُر، ويترتّب عن هذا ضرورة إزالة العطر من بدنك أو ثوبك إذا أردتَ الصلاة، باعتبار إزالة النجاسة شرطٌ من شروط صحّة الصلاة، إلا أن الصَّحيح – والله تعالى أعلم –: أنها ليست نجسة..!

والدَّليل على ذلك حديث أنس رضي الله عنه: «أنَّ الخمرَ لما حُرِّم خرج النَّاس، وأراقوها في السِّكك»، وطُرقات المسلمين لا يجوز أن

1– الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم الجوزية) دار الهلال، بيروت، 210.

تكون مكاناً لإراقة النَّجاسة، ولهذا يَحرُم على الإنسان أن يبولَ في الطَّريق، أو يصبَّ فيها النَّجاسة.

وقد ناقش عيسى بن عبدالله الحميري المسألة من جميع جوانبها، وعالجها بأسلوب علميّ رصين في كتابه: (لُباب النُّقول في طهارة العُطور الممزوجة بالكحول) دار القلم، الطبعة الأولى 1995م.

وهناك أبحاث أخرى خرج أصحابها بنفس النتيجة السابقة، من ذلك: الدكتور محمد علي البار، (الكحول والمخدرات والمنبهات في الغذاء والدواء)، مجلة الفقه الإسلامي، العدد: 13، 361-364.

كيف اعتنى الإسلام بأولي الضرر (المعاقين) ؟

لقد تم اعتماد الثالث من ديسمبر من كل عام يحيي العالم اليوم العالمي لذوي الاحتياجات الخاصة، بموجب القرار (3/47) الصادر عن الأمم المتحدة، وذلك من أجل سن التدابير لتحسين حالة المعاقين وتوفير فرص التكافؤ لهم، وقد ازداد عدد المعاقين في الفترة الأخيرة في سورية الحبيبة إثر تكالب غيلان العالم المتوحش عليها، وبهذه المناسبة أود أن أكتب عن حقوق المعاقين في الإسلام.

-الإعاقة في اللغة والاصطلاح:

"أصل عاقَ عَوَقَ، ثم نُقل من فَعَلَ إلى فُعِلَ، وعَاقَهُ عن الشيء يَعُوْقُهُ عَوْقاً وعَوَّقَهُ وتَعَوَّقَهُ واعتاقه: صَرَفَهُ وحَبَسَهُ... والتَّعَوُّق: التَّثَبُّطُ، والتَّعْوِيقُ: التَّثْبيطُ، وفي التنزيل:" قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ" [لسان العرب لابن منظور، وتهذيب اللغة للأزهري].

والمعَوِّقُونَ: قوم من المنافقين كانوا يُثَبِّطُونَ أنصار النبي صلى الله عليه وسلم عن نصرته.

ويمكن تعريف الإعاقة في الاصطلاح بأنها: "المشكلات والصُّعوبات التي يُواجهها الشخص بسبب عجز جسمي، أو عقلي، أو سلوكي، مما يجعله مختلفاً عن غيره من الأشخاص".

والمعاقون هم الذين يُطلق عليهم في عصرنا (ذوو الاحتياجات الخاصة)، واللهُ عزَّ وجلَّ ذكرهم في القرآن باسم (أولي الضرر).

وعندما نتتبع أحوال أولي الضرر(المعاقين) عبر العصور نجد في التاريخ القديم:

الدولة الرومانية التي تميزت بالصبغة الحربية عملت على التخلص من المعوقين حيث وصف القانون الروماني الأصم بالعته والبلاهة.

والفراعنة كانوا يتخلصون من الأطفال المعاقين، ولكنهم مع مرور الزمن اصطبغت قوانينهم بالروح الإنسانية فعالجوا بعض حالات ضعف السمع.

وكان الفيلسوف أرسطو يرى أن أصحاب الإعاقة السمعية لا يمكن تعليمهم.

والفيلسوف أفلاطون يرى إخراج المعاقين من مدينته الفاضلة؛ لأنهم لا يؤدون المطلوب منهم لنجاح هذه المدينة.

بل نادى عالم الاجتماع "هربرت سبنسر" بعدم تقديم المساعدة لهذه الفئات، بحجة أنها تثقل كاهل الدولة وتبدّد موارد المجتمع.

ويقول الفيلسوف "سمنر": إنّ أصحاب العاهات هم فئة طفيلية، وعبء على المجتمع، وإن اتسمت تلك الفئة بالسلبية، والمسالمة، وعدم الإضرار بالمجتمع[1].

وكان القانون الإنجليزي القديم يحرم بعض فئات المعاقين من الحقوق والواجبات التي لهم.

هكذا كانت نظرة أوروبا للمعاق حتى جاء الإسلام، فأنصف المعاق، ودافع عن حقوقه، والإسلام خاتم الشرائع السماوية ضرَبَ أروع الأمثلة في رعاية تلك الفئات الاجتماعية، وحرص على الرعاية الكاملة للضعفاء وذوو الاحتياجات الخاصة، والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد نفسه أمام آيات كثيرة تحث على نصرتهم قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:91].

1- ذياب عيوش وغيره، "الرعاية الاجتماعية"، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1 عمان الأردن:68.

تدل الآية دلالة واضحة على أن الضعفاء والمرضى ليس عليهم أية مشقة إذا لم يقاتلوا مع إخوانهم الأصحاء.

وقد تكرر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، ففي الموضع الأول في آية 61 من سورة النور، يعني: عدم الحرج في مسألة الأكل والشرب في بيوت الأقارب، والموضع الثاني في آية 17 من سورة الفتح ويقصد: عدم الحرج عندما يتخلفون عن المعارك فإن لهم العذر المقبول عند الله تعالى.

بل نجد أمامنا مثلاً إيجابياً من أمثلة الاهتمام والرعاية، وهذا المثل القائم والخالد بخلود كتاب الله تعالى وهو عتاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في قصة عبد الله بن أم مكتوم ذلك الأعمى الذي حضر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجلس معه كما تعود فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم فراغه وانشغاله بدعوة كفار مكة وسادتها ومحاولة جذبهم إلى توحيد الله وأدار وجهه عنه والتفت إليهم، وبالطبع لم يرَ ابن أم مكتوم ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أعمى، فجاء عتاب الله لنبيه: ﴿عبَسَ وَتَوَلَّى. أَن جَاءَهُ الأَعْمَى....﴾ الآيات، وبهذه الآيات البينات أوضح الله تعالى

لنبيه ولأمته أن المؤمن الضرير الكفيف هو أطيب عند الله من هؤلاء الصناديد الكفرة، واستنبط العلماء من هذه الآية بأنها دليل واضح على حق المعاق في تلقّي العلم والمعرفة، ولا يجوز منعه من ذلك.

فكان صلى الله عليه وسلم كلما رأى ابن أم مكتوم هشَّ له ورحَّب به وقال: (أهلاً بمن عاتبني فيه ربي) [رواه الديلمي].

وعن ابن جريج "كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل ابن أم مكتوم على المدينة على الزمنى إذا سافر، فيصلي بهم" [رواه عبد الرزاق في المصنف باب شهادة الأعمى].

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً بالضعفاء والمعاقين، وكان يزورهم في بيوتهم مع الصحابة رضوان الله عليهم؛ تطييباً لقلوبهم وخواطرهم؛ وزرعاً للثقة والطمأنينة في أنفسهم؛ ورسماً للبهجة والفرحة على وجوههم، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «اذْهَبُوا بِنَا إِلَى بَنِي وَاقِفٍ نَزُورُ الْبَصِيرَ». وهو رجل كان كفيف البصر [رواه البيهقي والبزار].

وعن ابن عباس رضي االله عنهما أنّ رسول الله صلى االله عليه وسلم قال: «وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ كَمَه الْأَعْمَى عَنْ السَّبِيلِ» [رواه أحمد].

ومعنى (كَمَّهَ) أي ضلَّل الأعمى عن الطريق ولم يرشده.

"والعناية بالمعاق فرض عين على من تجب عليه كفالته، وفرض كفاية على الأمة إذا قام به بعضهم سقط الإثم عن الباقين؛ وإذا لم يقم به أحد، كان الجميع آثمين"[1].

ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسِنَّ اليهوديَّ يتسوّل ففرض له مساعدة شهرية تحفظ له كرامته في كبره.

وفي التاريخ الإسلامي نماذج رائعة لهذا الجانب، فقد "كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى أمصار الشام أن ارفعوا إليّ كل أعمى في الديوان، أو مُقْعَد، أو من به الفالج، أو من به زمانة تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة، فرفعوا إليه، فأمر لكل أعمى بقائد، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم"[2].

ووضع الإمام أبو حنيفة تشريعاً يقضي بأن بيت مال المسلمين مسئول عن النفقة على المعوقين.

1- المشوق في أحكام المعوق، لعبد الرحمن بن عبدالخالق:1.

2- أحكام القرآن لابن العربي: 333/1.

و"قال ابن قدامة في المغني: وكان المكافيف يأخذون من الديوان أرزاقاً كثيرة "[1].

أما الوليد بن عبد الملك فقد بنى أول مستشفى للمجذومين عام 88 هـ وأعطى كل مُقعَد خادماً؛ وكل أعمى قائداً"[2].

ولما ولَّى الوليد "إسحاق بن قبيصة الخزاعي" ديوان الزمنى بدمشق قال: لأدعن الزّمن أحب إلى أهله من الصحيح، وكان يؤتى بالزمن حتى يوضع في يده الصدقة.

وأنشأ المأمون مآوٍ للعميان والنساء العاجزات في بغداد والمدن الكبيرة، كما قام السلطان قلاوون ببناء بيمارستان لرعاية المعوقين.

بل وكتب كثير من علماء المسلمين عن أولي الضرر (المعاقين) مما يدل على اهتمامهم بهم، وهذه أسماء بعض الكتب:

- "تاريخ الزَّمنى والعُرجان والمرْضى والعُمْيان" لخليفة بن خياط العُصفري البصري الملقب بشباب (ت:240هـ).

1- الفروع لابن مفلح: 263/6.

2- تاريخ الطبري: 29/4.

- "البُرْصان والعُرْجان والعُمْيان والحُولان" لعمرو بن بحر الجاحظ (ت: 255هـ).
- "فرحةُ الأنفس في فضلاء العُمْي مِنْ علماء الأندلس" للحافظ محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي (ت:571هـ).
- "رسالة في قضاء الأعمى وجوازِه" لأبي سعد عبدالله بن محمد المعروف بابن أبي عصرون الشافعي الموصلي (ت: 585هـ)، في جزءٍ لطيف، ألفها في حالة العمى.
- "الضبط والتبيين لذوي العِللِ والعاهاتِ منَ المحدِّثين" لابن المِبْرَد (ت:909هـ).
- "نيل الحُظوة بقيادة الأعمى أربعين خُطوة" للشيخ أحمد بن الصدِّيق الغُماري (ت:1370هـ).
- "علماء أضرّاء خدموا القرآنَ وعلومَهُ" للدكتور عبد الحكيم الأنيس.

والجدير ذكره أنّ الشريعة الإسلامية تمنع الاعتداء على كل فرد لا علاقة له بالقتال من قريب أو بعيد خاصّة المعاقين والمرضى وكبار السن والنساء والأطفال ورجال الدين، فقد جاء في كتاب "الكافي"

لابن عبد البر: (ولا يقتل النساء، ولا الصبيان، ولا العجائز، ولا الشيوخ الزمنى، ولا المجانين)[1].

وأخيراً في ضوء ما سبق نستنتج: بأن الإسلام اهتم واحترم المعاقين ودعمهم في شتى المجالات، فعلى الأمة إيجاد نوع من تكافؤ الفرص وتوفير العمل لهم، ليستغنوا عن سؤال الناس وليحفظوا كرامتهم، كما ينبغي توفير عربات وطرق خاصة للمعاقين لتسهيل تنقّلهم، وإنشاء قناة فضائية خاصّة بهم تحمل همومهم وتجمع الناس حول قضاياهم العادلة.

1- الكافي لابن عبد البر: 208/1.

كيف كان العلماء يصلحون ؟

ينظر أهل العلم في حال الناس من جهة ما يتقربون به إلى الخالق عز وجل، ويرشدوهم إلى أن يعملوا صالحاً.

ينظرون في أحوال الناس من جهة ما يمسهم من السراء والضراء، ويسعون ما استطاعوا في كشف الضر عنهم.

يحدثنا الكاتبون في تاريخ الأندلس: أن العلماء المقيمين في ضواحي قرطبة، كانوا يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة، ويطالعونه بأحوال بلدهم، وقال أحد علمائهم:

وأتعبُ إن لم يُمْنَحِ الناسُ راحةً وغيريَ إن لم يُتْعِبِ الناسَ يَتْعَبُ

وكان أهل العلم يوجهون هممهم إلى الوسائل التي تقي الأمة ممن يبغونها الأذى، فهذا أبو بكر ابن العربي قاضي أشبيلية رأى ناحية من سور أشبيلية محتاجة إلى إصلاح، ولم يكن في الخزانة مال موفر يقوم بسدادها، ففرض على الناس جلود ضحاياهم، وكان ذلك في عيد الأضحى، فأحضروها، وصرفت أثمانها في إصلاح تلك الناحية المتهدمة.

وكان محمد بن عبد الله بن يحيى الليثي قاضي قرطبة كثيراً ما كان يخرج إلى الثغور، ويتصرف في إصلاح ما وَهِيَ منها، حتى مات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة.

وظهور العلماء في أمثال هذه المواقف يغرس لهم في نفوس الأمة ودًّا واحتراماً، ويورثهم في رأي أولي الأمر مقاماً كريماً، أفلا نذكر أيام كان أمراء الإسلام مثل أسد بن الفرات قائد الجيش الذي فتح صقلية فإنه لم يكن إلا أحد الفقهاء الذين أخذوا عن مالك بالمدينة، ومحمد بن الحسن في بغداد، وعبد الرحمن بن القاسم في القاهرة.

لا ينبغي لأهل العلم أن يغفلوا عن سير أرباب المناصب والولايات، حتى إذا أبصروا عوجاً، نصحوا لهم بأن يستقيموا، لما أمر السلطان سليم بقتل مائة وخمسين رجلاً من حفاظ الخزائن، بلغ هذا النبأ الأستاذ علاء الدين الجمالي، وكان متولياً أمر الفتوى، فذهب إلى السلطان وقال له: وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان، وهؤلاء الرجال لا يجوز قتلهم شرعاً، فعليك بالعفو عنهم. فغضب السلطان سليم، وقال له: إنك تتعرض لأمر السلطنة، وليس ذلك من وظيفتك، فقال الأستاذ علاء الدين: لا، بل أتعرض لأمر آخرتك، وإنه من وظيفتي، فإن عفوت، فلك النجاة، وإلا، فعليك عقاب عظيم، فانكسرت سورة غضب السلطان، وعفا عن الجميع.

ومتى كان في ولاة الأمور شيء من العدل، نجحت الدعوة في سعيها، فهذا أحمد بن طولون لما دعا القاضي بكار بن قتيبة إلى خلع الموفق من ولاية العهد، أبى، فحبسه، وكرر عليه القول، فأصر على الإباءة، وبقي في السجن حتى ثقل ابن طولون في مرض الوفاة، فبعث إلى القاضي بكار يقول له: أردك إلى منزلتك، أو أحسن منها، فقال بكار للرسول: قل له: شيخ فان، والملتقى قريب، والقاضي الله عز وجل، فأبلغ الرسول ابن طولون ذلك، فأطرق ساعة ثم قال: شيخ فان، والملتقى قريب، والقاضي الله عز وجل، وأمر بنقله من السجن إلى دار اكتريت له.

وممن جرى على هذا الخلق المتين: أبو بكر بن العربي يوم كان قاضياً بأشبيلية، قال في كتاب (القواصم والعواصم): حكمت بين الناس، فألزمتهم الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لم يكُ يرى في الأرض منكر، واشتد الخطب على أهل الغصب، وعظم على الفسقة الكرب، فتألبوا وألبوا، وثاروا علي، فاستسلمت لأمر الله، وأمرت كل من حولي ألا يدفعوا عن داري، وخرجت على السطوح بنفسي، فعاثوا عليَّ حتى أمسيت سليب الدار، ولولا ما سبق من حسن الأقدار، لكنت قتيل الدار، يعني بقتيل الدار: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

لماذا اختار الله الغراب لتعليم ابن آدم ؟

قال الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: 31].

أول جريمة قتل نفس بشرية كانت بين ابني آدم (الأخوين قابيل وهابيل) حينما قتل قابيل[1] أخاه هابيل والسبب هو إبليس وحسده وحقده وكرهه لآدم وذريته، ولكن الله عز وجل بعث غراباً ليعلم بني آدم دفن موتاهم ولم يبعث أي طائر آخر ! لماذا يا ترى ؟

إن الغربان لا تدفن موتاها كما يقول علماء الطيور، والمدقق للنص القرآني ينتبه إلى أن القرآن الكريم ذكر غراباً واحداً، ولأن كلمة: «يَبْحَثُ» المذكورة في الآية تدل على التفتيش، كما أن كلمة «يُوَارِي» لا يفهم منها الدفن، ولكن يفهم منها المواراة والإخفاء فقط.

1- كانوا يعلموننا ونحن صغار حتى لا ننسى، بأن القاتل هو من كان أول حرف من اسمه ق، فيقولون: قاف قاتل، أي قابيل قاتل هابيل.

وهاتان الصفتان – البحث والمواراة (الإخفاء) – من ألصق الصفات بالغربان لذكائها الشديد، ومعظم ريش الغربان يتميز باللون الأسود ذات اللمعان الواضح، يقول ابن منظور في " لسان العرب " في باب: "غرب" ، أسود غربيب وغرابي: شديد السواد ".

هذا اللون الأسود الذي كسيه الغراب لحكمة إلهية ولا يخلق الله شيئاً عبثاً، والحكمة من ذلك هو الاختفاء "المواراة " لأن الغربان تتوارى في ظلمة الليل عن أعدائها من البوم والصقور التي تنشط ليلاً وتفترسها.

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير:

"وكأنّ اختيار الغراب لهذا العمل إمّا لأنّ الدفن حيلة في الغِربان من قبلُ، وإمّا لأنّ الله اختاره لذلك لمناسبة ما يعتري الناظر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسيف الخاسر من انقباض النفس. ولعلّ هذا هو الأصل في تشاؤم العرب بالغراب، فقالوا: غُراب البين".

وفي مقال بمجلة العلوم الأمريكية العدد 9-2007/10م بعنوان: «ما مدى ذكاء الغربان؟» فبعد أن ذكر صاحبا المقال والبحث الذي بني عليه المقال؛ توماس جَنْيار و ب. هاينرش: أن الغربان تستخدم المنطق وأن ذكاءها قد يفوق القردة العليا ثم ذكرا أنها من الحيوانات

"الخابئة" أي التي تخبئ طعامها في مخابئ، وأن لها ذاكرات خارقة تستوعب آلاف المخابئ وأنه [عند توافر جثة موضع صراع تقوم الغربان بنقلها بحماس –كتلة من اللحم وراء الأخرى – وتخفيها بدفنها وتمويهها بفتات الحصى.»[1].

ثم أورد رسمًا توضيحيًّا لغراب قد دفن فرائسه في مخابئ أشبه ما تكون بالمقابر البسيطة.

إذن: الغربان لا تدفن موتاها، بل تواري طعامها إذا كان صغيرًا كبيضةٍ مثلاً، وتواري طعامها بقطع الصخور الصغيرة وفروع الأشجار وهو الغالب.

لذلك كان القرآن دقيقًا حين ذكر المصطلح "يبحث" لا ينقب؛ لأن الغراب يبحث عما يواري به فريسته، كما كان القرآن معجزًا حين قال "يواري" ولم يقل يدفن؛ لأن الدفن أعمق من المواراة، وهو ما لا يفعله الغراب حتى مع طعامه إلا إذا كان صغيرًا كما أن هذه الحالة نادرة والغالب التغطية.

1- مجلة العلوم الأمريكية العدد 9-2007/10م، بحث، توماس بَجْنيار و ب. هاينرش بعنوان: «ما مدى ذكاء الغربان؟»: 30.

والظاهر أن غراب ابني آدم كان يواري جسمًا ليس بالصغير لتقترب الصورة أكثر للقاتل فيقلدها، فالغراب لا يدفن موتاه ولا طعامه، وإنما "يواري" فرائسه وطعامه بعد أن "يبحث" عن أشياء يستخدمها لهذه المواراة.

وقد تنبه لهذا بعض المفسرين منهم الفخر الرازي الذي قال:

"قال أبو مسلم: عادة الغراب دفن الأشياء فجاء غراب فدفن شيئًا فتعلم ذلك منه "[1].

كما قال القرطبي: "وقيل: إن الغراب بحث الأرض على طُعْمِه ليخفيه إلى وقت الحاجة إليه؛ لأنه من عادة الغراب فعل ذلك؛ فتنبه قابيل بذلك على مواراة أخيه".

وقال طنطاوي جوهري في تفسير هذه الآية:

"والغراب: طائر معروف. قالوا: والحكمة في كونه المبعوث دون غيره من الطيور أو الحيوان، لأنه يتشاءم به في الفراق والاغتراب. أو لأن من عادة الغراب دفن الأشياء".

1- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: 11 / 166

وأثبتت الدراسات العلمية أن الغراب هو أذكى الطيور وأمكرها على الإطلاق، ويعلل ذلك بأن الغراب يملك أكبر حجم لنصفي دماغ بالنسبة إلى حجم الجسم في كل الطيور المعروفة.

ومن بين المعلومات التي أثبتتها دراسات سلوك عالم الحيوان «محاكم الغربان» وفيها تحاكم الجماعة أي فرد يخرج على نظامها، حسب قوانين العدالة الفطرية التي وضعها الله سبحانه وتعالى لها، ولكل جريمة عند جماعة الغربان عقوبتها الخاصة بها.

من أجل ذلك كله كان الغراب معلماً ذكياً لابن آدم.

ليتنا نقول: اسم الجلالة (الله)
ولا نقول: لفظ الجلالة (الله) !

الله: اسم للذات المقدسة ذات الله جل وعلا.

قال القرطبي: الله: هذا الاسم أبَرُّ أسمائه سبحانه وأجمعها.

وقال ابن كثير: الله: عَلَمٌ على الرب تبارك وتعالى.

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: الله: ذو الألوهية على خلقه.

وغالباً ما تورد عبارة "لفظة الجلالة" في الأدبيات العربية عند ذكر كلمة (**الله**) كلفظة لغوية أو نحوية للتفريق بينها وبين غيرها من الكلمات.

ولم يرد ما يفيد أن أحداً أطلق هذ الاسم على نفسه سواء قبل الإسلام أو بعده، بالرغم من وجود من ادَّعوا الألوهية إلا أنهم لم يسموا أنفسهم بهذا الاسم وجاء في القرآن الكريم: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:65].

وهذا من بيان قدرة الله على خلقه حيث لم يصرف قلبَ أو عقلَ أحد من مخلوقاته إلى أن يسمي أو يتسمى باسمه العظيم (**الله**).

لكنني أرى – والله تعالى أعلم– أنه لا يليق أدباً أن نكتب أو نقول: (لفظ الجلالة) والسبب خشية الوقوع في المحظور، ومن باب التأدب مع اسم الله تعالى؛ وتوقير اسمه الأعظم، فاسم (الله) حاشاه أن يُلْفَظ بمعنى يُرْمَى، قال الحق سبحانه تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:18].

قل ابن منظور في لسان العرب:

«لفظ: اللفظ: أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل لفظ الشيء. يقال: لفظتُ الشيءَ مِن فمي ألفظه لفظاً رميتُه، وذلك الشيء لفاظة...».

والدنيا لافظة تلفظ بمَن فيها إلى الآخرة أي ترمي بهم، والأرض تلفظ الميت إذا لم تقبله ورمت به، والبحر يلفظ الشيء: يرمي به إلى الساحل، والبحر يلفظ بما في جوفه إلى الشطوط. وفي الحديث: «وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا ، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ»، أي تقذفهم

وترميهم من لفظ الشيء إذا رماه، وفي الحديث: «**وَمَنْ أَكَلَ فَمَا تَخَلَّلَ فَلْيَلْفِظْ**» أي فليُلْقِ ما يخرجه الخِلال من بين أسنانه.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سئل عما لفظَ البحرُ فنهى عنه؛ أراد ما يلقيه البحرُ من السمكِ إلى جانبه من غير اصطياد.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «فَقَاءَتْ أُكُلَهَا ولَفَظَتْ خَبِيثَهَا» أي أظهرت ما كان قد اختبأ فيها من النبات وغيره.

واللافظة: البحر. وفي المثل: أسخى من لافظة؛ يعنون البحر؛ لأنه يلفظ بكل ما فيه من العنبر والجواهر، والهاء فيه للمبالغة، وقيل: يعنون الديك لأنه يلفظ بما في فيه إلى الدجاج.

ولفظ الرجل: مات. ولفظ بالشيء يلفظ لفظاً: تكلم. وفي التنزيل العزيز: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:18]؛ ولفظت بالكلام وتلفظَّتُ به أي تكلمتُ به؛ واللفظ: واحد الألفاظ، وهو في الأصل مصدر".

أقول: وجميع هذه المعاني لا تناسب توقير اسم الله تعالى، ونحن مأمورون أن لا نعرض اسماً معظَّماً أو مقدَّساً للإهانة أو حتى

الدخول به إلى مكان قذر، بل قال جميع فقهائنا: يكره أن يدخل الخلاء ومعه خاتم مكتوب عليه اسم الله تعالى، تعظيماً لهذا الاسم الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:32].

واللفظ: أي الرمي؛ ليس فيه احترام لاسم الله سبحانه وتعالى، لأن اللفظ والرمي كما ورد في لسان العرب يكون للشيء الذي لا يُرْغَب فيه، وقد يقال: فلان يلفظ أنفاسه الأخيرة!

لذا أرى من الأتقى والأفضل للمسلم الورع أن يتجنب الشبهة ولا يقع فيها، ويقول : "اسم الجلالة: (الله)" ولا يقول: "لفظ الجلالة".

وقد كان سلفنا الصالح يبجلون اسم (الله) ويقدِّسونه، وهذا عبدالملك بن مروان لما سقط منه فِلْسٌ في بئرٍ قذرة؛ استأجر له رجلاً ليخرجه بثلاثة عشر ديناراً!

فقيل له: فِلْس تخرجه بهذا المبلغ؟!

قال: كان عليه اسم (الله)..! هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

ما حكم اتكاء الخطيب على العصا أو السيف؟

كنتُ أخطب الجمعة في دولة الإمارات العربية المتحدة قبل سنة من الآن، وكنا . أي الخطباء . في مدينة العين نحمل معنا على المنبر عصا غليظة، لأن أكثر أهل الإمارات على المذهب المالكي، والإمام مالك رحمه الله تعالى يرى أن الاتكاء على العصا مستحب أثناء الخطبة.

ولما وجَّه إليَّ أحد الإخوة هذا السؤال أحببتُ أن أبيِّن حكم الاتكاء على العصا أو السيف أثناء الخطبة على المذاهب الأربعة مع ذكر بعض الأدلة.

اختلف الفقهاء في حكم اتكاء الخطيب على العصا أو القوس ونحوهما أثناء خطبة الجمعة على قولين:

القول الأول: الندب والاستحباب، وهو مذهب جمهور العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة.

1- يقول الإمام مالك رحمه الله:

«وذلك مما يستحب للأئمة أصحاب المنابر، أن يخطبوا يوم الجمعة ومعهم العصي يتوكؤون عليها في قيامهم، وهو الذي رَأَيْنا وسَمِعْنا» اهـ [المدونة الكبرى:151/1]، وهو المعتمد في كتب متأخري المالكية.

2- ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«أحب لكل من خطب - أيَّ خطبة كانت - أن يعتمد على شيء » اهـ[الأم: 272/1]، وهو معتمد مذهب الشافعية أيضاً.

3- ويقول البهوتي الحنبلي رحمه الله:

«ويسن أن يعتمد على سيف أو قوس أو عصا بإحدى يديه» اهـ [كشاف القناع: 36/2]، وانظر: [الإنصاف:397/2].

واستدل أصحاب هذا القول؛ بأن الاتكاء على العصا ثابت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث، منها حديث الحكم بن حزن رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قام يوم الجمعة (متوكئاً على عصا أو قوس فحمد الله وأثنى عليه...) إلى آخر الحديث، رواه أبو داود برقم (1096) ، قال النووي في " المجموع " (526/4): حديث حسن، وضعفه بعض أهل العلم، فقال ابن كثير في "إرشاد الفقيه" (196/1): ليس إسناده بالقوي.

وقالوا أيضاً بأن في الاعتماد على قوس أو عصا أو نحوهما شغلاً عن مسِّ اللحية والعبث باليد، وأعون للخطيب، وأمكن لروعه، وأهدأ لجوارحه.

كما اختلف القائلون بسنية اعتماد الخطيب على قوس، أو عصا، أو نحوهما أثناء خطبة الجمعة في اليد التي يمسك بها ذلك، على ثلاثة أقوال:

أولاً: يمسكه بما شاء من يديه، والأخرى بحرف المنبر أو يرسلها، وهذا هو المشهور عند الحنابلة.

ثانياً : يمسكه بيسراه ، والأخرى بحرف المنبر، وبهذا قال الشافعية.

ثالثاً : يمسكه بيمناه، وبهذا قال المالكية.

فإن قيل: ما يفعل الخطيب بيديه إذا لم يعتمد على شيء من ذلك؟

قال الشافعية والحنابلة: له أن يمسك يده الشمال بيده اليمين، أو يرسلهما، لأن الغرض هو الخشوع أثناء الخطبة، وعدم العبث، فما يرى الخطيب أنه يحقق له ذلك من الإمساك أو الإرسال يفعله.

القول الثاني: الكراهة، وهو معتمد مذهب الحنفية وإن خالف بعض فقهائهم.

قال صاحب التتارخانية – ونسبه لصاحب "المحيط البرهاني" – ما نصه:

«وإذا خطب متكئاً على القوس أو على العصا جاز، إلا أنه يكره؛ لأنه خلاف السنة» اهـ [الفتاوى التتارخانية: 61/2].

وجاء في " الفتاوى الهندية " (148/1):

«ويكره أن يخطب متكئاً على قوس أو عصا، كذا في الخلاصة، وهكذا في المحيط، ويتقلد الخطيب السيف في كل بلدة فتحت بالسيف، كذا في شرح الطحاوي» اهـ.

وفي كلام العلامة ابن القيم ما يدل على أن الاتكاء على العصا ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة على المنبر، قال رحمه الله:

«ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيرَه، وإنما كان يعتَمِد على قوس أو عصاً قبل أن يتَّخذ المنبر، وكان في الحرب يَعتمد على قوس، وفي الجمعة يعتمِد على عصا، ولم يُحفظ عنه أنه اعتمد على سيف، وما

يظنه بعض الجهال أنه كان يعتمد على السيف دائماً، وأن ذلك إشارة إلى أن الدين قام بالسيف: فَمِن فَرطِ جهله، فإنه لا يُحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر أنه كان يرقاه بسيف، ولا قوس، ولا غيره، ولا قبل اتخاذه أنه أخذ بيده سيفاً البتة، وإنما كان يعتمِد على عصا أو قوس» اهـ[زاد المعاد: 429/1].

أما حكم اعتماد الخطيب على السيف أثناء خطبة الجمعة ففي ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يشرع الاعتماد على السيف مطلقاً وبهذا قال الإمام ابن القيم – رحمه الله، واستدل بعدم فعل النبي صلى الله عليه وسلم لذلك.

القول الثاني: يسنّ الاعتماد على السيف مطلقاً كالقوس ونحوهما وبهذا قال المالكية والشافعية والحنابلة، وقالوا بأن في الاعتماد على السيف إشارة إلى أن هذا الدِّين فتح به، وقام به، ولهذا يسنّ أن يكون ذلك في يده اليسرى كعادة من يريد الجهاد به.

ولكن ابن القيم رحمه الله ناقش هذا وردَّه من وجهين:

الوجه الأول: أن المحفوظ أن النبي صلى الله عليه وسلم توكأ على العصا والقوس.

الوجه الثاني: أن الدين قام بالوحي، وأما السيف فَلِمَحْق أهل الضلال والشرك، ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب فيها إنما فُتحت بالقرآن، ولم تُفتح بالسيف.

القول الثالث: يسنّ الاعتماد على السيف في البلاد التي فتحت عنوة دون البلاد التي فتحت صلحاً وبهذا قال الحنفية.

وقالوا: بأن الخطيب إذا اعتمد على السيف في هذه البلاد؛ فإنه يُري أهلها أنها فُتِحَتْ بالسيف، وأنهم إذا رجعوا عن الإسلام فذلك باقٍ بأيدي المسلمين، يقاتلونهم به حتى يرجعوا إلى الإسلام.

ويمكن أن يجاب عن هذا القول أيضاً بأن الإسلام انتشر بالوحي، وبقاؤهم على الإسلام يكون بنشر الإسلام بينهم، لا بفرضه عليهم بحد السيف.

الترجيح: لا يشرع اعتماد الخطيب على السيف لعدم وجود دليل على مشروعيته، بل يستحب اعتماده على قوس أو عصا أو نحوهما في خطبة الجمعة، لقوة دليل القائلين به، وخاصة حديث الحكم بن

حزن رضي الله عنه الذي حسَّنه بعض العلماء المحققين في علم الحديث كالنووي وابن حجر، والله تعالى أعلم.

محنة البخاري جديدة قديمة
وفصولها.. محزنة وأليمة

بدأ البخاري في طلب الحديث وهو دون العاشرة من عمره، فسمع من مشايخ بلده، ثم خرج في رحلة علمية طويلة لسماع الحديث، وطلب العلم؛ فطاف البلاد، ودخل العواصم، والتقى مع آلاف الشيوخ، ولم يترك بقعة من بقاع العالم الإسلامي المعروفة بالعلم والحديث إلا زارها ودخلها، فطاف خراسان كلها، ودخل العراق؛ فزار بغداد والبصرة الكوفة مرات كثيرة، ودخل الشام والحجاز واليمن ومصر، وكان كلما دخل بلدًا انهال عليه الآلاف من أهلها من طلبة العلم وغيرهم للاستفادة من علمه الغزير، وأدبه الوفير، وسمته وهديه، وكان الناس يستقبلونه استقبال الملوك والخلفاء والعظماء، ويبالغون في تعظيمه وتبجيله واحترامه.

وبدأت فصول محنة البخاري عندما توجه إلى مدينة نيسابور؛ وهي من المدن الكبيرة في خراسان؛ فلما وصل إليها خرج إليه أهلها عن بكرة أبيهم، فلقد استقبله أربعة آلاف رجل ركبانًا على الخيل، سوى من ركب بغلاً أو حمارًا، وسوى الرّجّالة، وخرج كافة الولاة والعلماء لاستقباله قبل أن يصل المدينة بمرحلتين أو ثلاثة [قرابة المائة كيلومتر

مربع]، وبالغوا في إكرامه بصورة لم تكن لأحد قبل، ولا حتى بعده"[1].

ومن روعة الاستقبال، وعظيم التقدير والاحترام الذي وجده البخاري بنيسابور قرر المقام فيها لفترة طويلة، واتخذ فيها دارًا، وأخذ علماء نيسابور في حض طلبة العلم على السماع من البخاري، وكان رأس علماء نيسابور وقتها الإمام محمد بن يحيى الذُّهْلِيِّ ، وكان رأسًا متبوعًا مطاعًا، ليس في نيسابور وحدها، بل في خراسان كلها، الناس يطيعونه أكثر من طاعتهم للخليفة والوالي، وكان الذُّهْلِيِّ ممن حض الناس على الجلوس للبخاري، وحضور مجالسه ودروسه، والذُّهْلِيِّ نفسه كان ممن استفاد كثيرًا من البخاري، حتى إنه كان يمشي خلف البخاري في الجنائز يسأله عن الأسماء والكني والعلل، والبخاري يمر فيها مثل السهم"[2].

ومع استقرار البخاري في نيسابور أخذت مجالس التحديث تخلو شيئًا فشيئًا من طلاب الحديث لصالح مجلس البخاري، حتى ظهر الخلل في مجلس كبير علماء نيسابور محمد بن يحيى الذُّهْلِيِّ نفسه، عندها تحركت النوازع البشرية المركوزة في قلوب الأقران، فدب الحسد في

1- سير أعلام النبلاء، للذهبي، طبعة الرسالة: 437/12.
2- البداية والنهاية لابن كثير، دار الفكر: 26/11.

قلب الذُّهْلِيِّ، وتسللت الغيرة المذمومة إلى نفسه شيئًا فشيئًا، حتى وصل الأمر به لأن يخوض في حق البخاري، ويتكلم فيه، ويرميه بتهمة هو بريء منها، فما هذه التهمة يا ترى التي كانت سبب محنة البخاري؟!

هذه التهمة هي تهمة اللفظية؛ وهي تعني قول القائل: أن لفظي بالقرآن مخلوق، فقد قال – يعني الذهلي – لأصحاب الحديث إن البخاري يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه في المجلس، فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن: مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجب، فأعاد الرجل السؤال ثلاث مرات، فالتفت إليه البخاري، وقال القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة، أي أن البخاري قد أدرك مغزى السؤال، وعلم أنه من جنس السؤالات التي لا يراد بها وجه الله عز وجل، وإنما يراد بها امتحان العلماء، وإثارة الفتن والفرقة بين الناس، فشغب الرجل السائل على مجلس البخاري؛ فقام البخاري من مجلسه، وجلس في منزله"[1].

1- سير أعلام النبلاء للذهبي، طبعة الرسالة: 453/12.

بعد هذه الحادثة أخذ الذُّهْلِيِّ في التشنيع على البخاري، واتهمه بالتجهم، وقال: قد أظهر البخاري قولة اللفظية، واللفظية عندي شر من الجهمية، وكان من ذهب بعد ذلك إلى محمد بن إسماعيل البخاري اتهموه، وقالوا: لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه، ثم تمادى الذهلي في التشنيع والهجوم على البخاري، ونادى عليه في الناس، ومنع طلبة الحديث من الجلوس إليه، ثم ألزم كل من يحضر مجلسه ألا يجلس للبخاري؛ فقال يومًا: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، وكان في المجلس وقتها الإمام الكبير مسلم بن الحجاج، وأحمد بن سلمة، فقام الاثنان من مجلس الذُّهْلِيِّ، وهذا الأمر جعل الذُّهْلِيِّ يزداد في هجومه على البخاري، ويصل لأعلى درجات الغلو والغيرة المذمومة؛ إذ قال بعد حادثة خروج الإمام مسلم من مجلسه: لا يساكنني هذا الرجل: (يعني البخاري) في البلد، وأخذ الجهال والسفهاء يتعرضون للبخاري في الطريق: يؤذونه بالقول والفعل؛ مما اضطر معه البخاري في النهاية إلى أن يخرج من البلد"[1].

قال أحمد ابن سلمة: دخلت على البخاري فقلت: يا أبا عبد الله هذا رجل مقبول بخراسان خصوصًا في هذه المدينة، وقد لج في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه؛ فما ترى؟! فقبض

1- سير أعلام النبلاء للذهبي، طبعة الرسالة: 460/12.

البخاري على لحيته ثم قرأ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر:44]، اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشرًا ولا بطرًا، ولا طلبًا للرياسة، وقد قصدني هذا الرجل [يقصد الذهلي] حسدًا لما أتاني الله لا غير، ثم قال لي: يا أحمد إني خارج غدًا لتتخلصوا من حديثه لأجلي، فقال أحمد بن سلمة: فأخبرت جماعة من أصحابنا بخروج الإمام، فوالله ما شَيَّعَه غيري، وكنت معه حين خرج من البلد"[1].

وبالفعل خرج البخاري من نيسابور، واتجه إلى مرو من أعمال خراسان ليواصل رحلته العلمية، فإذا بالذهلي يواصل هجومه الشرس على البخاري، حتى بعد خروجه من نيسابور: حيث أخذ في الكتابة لسائر بلاد ومدن خراسان يحذرهم من البخاري، وأنه يتبنى قول اللفظية، وقد آتت هذه الحملة أكلها؛ فكلما توجه البخاري إلى بلد في خراسان؛ وجد الناس ثائرين عليه، وكُتُبُ الذهلي في حقه تنهال على علماء المدن وأمرائها فتوغر الصدور، وتحرك الشكوك، وتسيء الظنون، حتى وصلت حدة الحملات التشويهية ضد البخاري لأن يقدم رجلان من أكبر علماء الرجال في الحديث: وهما أبو حاتم، وأبو

1 – سير أعلام النبلاء للذهبي، طبعة الرسالة: 459/12.

زرعة على أن يقولا: إن البخاري متروك، ولا يكتبا حديثه بسبب مسألة اللفظ..!

وسبحان الله لا أدري كيف أقدم أبو حاتم وزرعة على مثل هذه المقولة؟ وكيف تجاسرا عليها؟ والبخاري حامل لواء الصناعة، ومقدم أهل السنة والجماعة، والبخاري أعلى منهما كعبًا في كل باب في الحديث والفقه والحفظ .

قال الذهبي في السير: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة، أو لمذهب، أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين»[1].

إنها قصة جديدة قديمة، وفصولها كلها محزنة وأليمة، نسأل الله السلامة.

1- سير أعلام النبلاء للذهبي، طبعة الرسالة: 462/12.

ملاحظات حول أقدم نسخة للمصحف في جامعة برمنغهام

قرأت أمس الأربعاء 2015/7/22م على الشبكة العنكبوتية وفي صفحة هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" خبراً بعنوان:

(العثور على صفحات من إحدى "أقدم" نسخ المصحف في جامعة برمنغهام) ..!

يقول الخبر:

«عثر باحثون في جامعة برمنغهام على صفحات من المصحف، بين فحصها بتقنية الكربون المشع في جامعة أوكسفورد أن النص مكتوب على قطع من جلد الغنم أو الماعز، وأن عمرها يبلغ نحو 1370 عاماً، فتاريخ كتابة نسخة برمنغهام يعود إلى 645 ميلادي، وهو ما قد يجعلها من أقدم نسخ المصحف في العالم، وكتب النص بخط حجازي جميل ومقروء بشكل مدهش، وهو من الخطوط العربية الأولى، بل هو أقدم أشكال الخط العربي.

وهذه المخطوطة هي جزء من مجموعة "منغنا" التي تضم أكثر من 3000 وثيقة من الشرق الأوسط جمعها في العشرينيات ألفونس منغنا، القس الكلداني المولود قرب مدينة الموصل في العراق.

وقد قام برحلات إلى الشرق الأوسط لجمعها برعاية من إدوارد كادبري، الذي ينتمي إلى أسرة عرفت بصناعة الشوكولاتة.

ويقول خبير المخطوطات في المكتبة البريطانية، الدكتور محمد عيسى والي، إن هذا "الاكتشاف المذهل" سيدخل السعادة في قلوب المسلمين.

وقد بقيت الأوراق في مكتبة الجامعة مدة قرن لم يلتفت إليها أحد، حتى أطلع عليه أحد طلبة الدكتوراه، فحدثت المفاجأة "المثيرة».

أما ما يهمني في هذا الخبر فهو قول: البروفيسور توماس أن "العمر التقديري لمخطوط برمنغهام يعني أنه من المحتمل جداً أن كاتبه قد عاش في زمن النبي محمد" صلى الله عليه وسلم..!

وأضاف: "أن هذه الصفحات قريبة جداً من القرآن الذي نقرأه اليوم، وهو ما يدعم فكرة أن القرآن لم يعرف إلا (تغييراً طفيفاً)، أو

أنه لم يطرأ عليه أي تغيير، ويمكن إعادة تاريخها إلى لحظة زمنية قريبة جداً من الزمن الذي يعتقد بنزوله فيه"..!

أخي القارئ دقق معي في قول البروفيسور توماس: (وهو ما يدعم فكرة أن القرآن لم يعرف إلا تغييراً طفيفاً) ..!

أرأيتَ كيف يريدون أن يشككوا المسلمين في عقيدتهم وصحة كتابهم المقدس؟! إن هناك بعض المستشرقين ينتهزون ويستغلون هذه الاكتشافات الأثرية ليزعزعوا عقيدة المسلمين وأنى لهم ذلك؟!

المخطوطة اسمها Arabic 1572 من أرشيف الكلداني ألفونس منغنا في جامعة برمنغهام، وقوامها 9 أوراق فقط، وتحتوي على آيات من سورة: (النساء، المائدة، الأنعام، الكهف، مريم، وطه).

وعلى هذه المخطوطة عدة ملاحظات يثير الشك والريب منها:

من يرى المخطوطة لأول وهلة يجدها وكأنها خضعت لترميمات حتى ظهرت بهذه الحلة، علاوة على خطها المثير الجميل فالحروف واضحة جداً وكأنها كتبت في عهد قريب، والغريب أن فيها نقطاً لبعض الحروف، ومعلوم أن النقط لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه

وسلم، وحتى المصاحف العثمانية لم تكن منقوطة، ويرجع أهل العلم النقط إلى عهد أبي الأسود الدؤلي رحمه الله تعالى.

ومن الملاحظات وجود البسملة بين السورتين باللون الأحمر، والعلماء يقررون أن المصاحف العثمانية لم تكن فيها بسملة بين السور؛ وإنما كان هناك بياض للفصل بين السور.

ثم علينا أن نعلم أن منهج البحث العلمي عند الغربيين وخاصة في تحقيق المخطوطات يقوم على القِدَم فقط، لذلك تراهم يقولون: (عثر على صفحات من المصحف يعود تاريخها إلى 645 ميلادي)، هذا الذي يهمهم فقط ولا فرق عندهم بين المصحف أو أي كتاب آخر.

أما نحن المسلمين فلا بد من توفر شرطين أساسيين في تحقيق أي مخطوط وخاصة نسخ القرآن الكريم:

الشرط الأول: لابد من معرفة ناسخها، من كتب هذه النسخة؟ لأننا لا نأخذ ديننا عن نكرات ومجاهيل، فقد يكون الكاتب جاهلاً أو عدواً أو كتب هذه الصفحات من رأسه وذاكرته وهو بشر ومعرض للخطأ والنسيان.

الشرط الثاني: من أين نسخها؟ لأن المصحف لا ينسخ من الذاكرة فقط، فالقرآن الكريم أول ما دُوِّن كتَبَه كُتَّابُ الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم على لوحات وأحجار وجلود وما كان متوفراً ومتاحاً في ذلك الزمان.

وفي عصر أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما أراد جمع المصحف، أحضر زيد بن ثابت رضي الله عنه لكتابة القرآن وجمعه، فقام زيد بن ثابت بجمع تلك اللوحات والقطع التي كتبتْ وجمعتْ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففرَّغها في ما يسمى بالصحف البكرية الصديقية.

وفي عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لما أراد أن ينسخ نسخاً من المصحف، كان زيد بن ثابت أيضاً رئيس اللجنة، فقام بهذه العملية على أكمل وجه، بعد أن أرسل عثمان إلى السيدة حفصة: (أن أرسلي لنا الصحف ننسخها).

إذن القرآن الكريم يُكتَب من نسخ موثقة ومكتوبة قبله لا من الرأس والحفظ فقط، فإذا جاءتنا نسخة هكذا مكتوبة ومبتورة، كما ظهرت نسخة من القرآن الكريم وعثر على نحو ألفي قطعة في جدار المسجد

الكبير بصنعاء اليمن فطار بها بعض المشككين وأعداء الدِّين فرحين وكأنهم عثروا على كنز ليهزوا به عقيدة المسلمين في كتابهم المقدس.

إن هذه الصفحات التي ظهرت في جامعة برمنغهام أو ربما يكتشفون نسخاً أخرى في المستقبل، وقد تظهر فيه بعض الاختلافات عن المصحف الموجود والمتداول بين أيدي المسلمين اليوم، هذا الأمر لا يمكن أن يهز عقيدة المسلمين في صحة كتاب الله تعالى أبداً، ولا قيمة له عند المسلمين إلا بتوفر هذين الشرطين، فأي مصحف يظهر الآن أو مستقبلاً يُنظَر؛ إن وافق المصحفَ الموجود بين أيدينا فعلى الرأس والعين، وإن خالفه ولم يوافقه فلا يُلتفت إليه أبداً، لأن المصحف الموجود بين أيدي المسلمين هو الأصل الموثق والمضبوط والمتواتر، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

كما ينبغي على المحقق أن يلاحظ التفريق الدقيق بين العُمر المحتمل للرِّق المكتوب عليه، وتاريخ عملية الكتابة عليه.

وللعلم فإن الكربون المشع يحدد العمر لأي كائن حي، من بعد وفاته، أي الفترة الزمنية منذ وفاة الكائن الحي سواءً كان هذا الكائن

نباتاً أو حيواناً، وبناءً على هذا يمكن تحديد عمر المداد إذا كان مصدره نباتياً أو لا.

والفحص بالكربون المشع بدأ بطريقة ممنهجة في ديسمبر من عام 2014 ضمن مشروع "كوربوس كورانيكوم" الألماني، ولعلكم تذكرون خبر مخطوطة جامعة ليدن فهي من أولى الجامعات التي قام المشروع الألماني بالتعاون معها لإجراء هذا الفحص وتبين أنها أقدم مما كان متوقعاً بـ 100 عام، وبعدها جامعة توبنجين، ثم مكتبة برلين الحكومية، وأخيراً جامعة برمنغهام.

ملاحظة أخيرة: أعجب كل العجب حينما أقارن فأجدهم – وهم غير مسلمين – سعداء جداً لأنهم عثروا على نسخة قديمة من القرآن الكريم، بينما يخرج من بين أظهرنا – نحن المسلمين – من يطالب بحذف آيات من القرآن الكريم إرضاء لأعداء الدين والمسلمين؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وذهاب همومنا وأحزاننا يا رب العالمين.

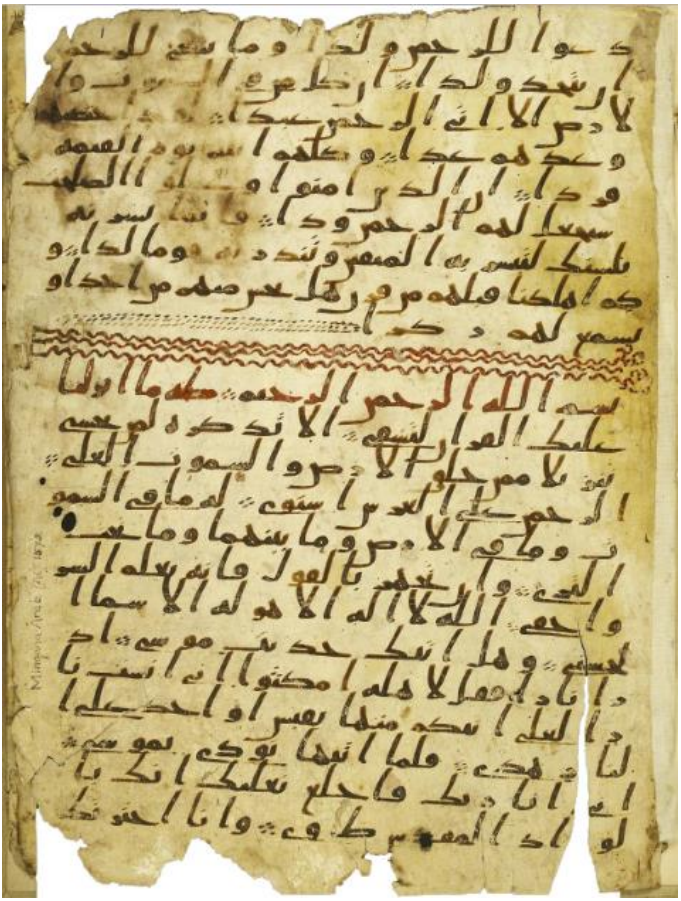

نموذج من نسخة برمنغهام الذي قيل بأنه يعود إلى 645 ميلادي.

من أنـواع الـميـاه في القـرآن الكريم:
العذب الفرات والملح الأجاج والطهور

من أعظم نعم الله تعالى نعمة الماء، فهو أهون موجود وأعز مفقود، وهو ذاك السائل الذهبي الشفاف الذي لا طعم له ولا لون ولا رائحة، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَ جَعَلْنَاْ مِنَ الْمَاْءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاْ يُؤْمِنُوْنَ﴾ [الأنبياء:30].

إن جميع المياه الموجودة في الأرض سواء في البحار أو الأنهار أو مياه الآبار تحوي أملاحاً بنسبة لا نكاد نشعر بها، ولكن الذي يعلم حقيقة هذه النسبة هو خالق المياه سبحانه وتعالى، ولذلك نجد التعبير القرآني دقيقاً دقة فائقة في وصف هذه المياه، بل يصنفها تصنيفاً علمياً بما يتناسب مع درجة نقاوتها.

فيصف مياه الأنهار والينابيع والآبار بأن ماءها عذب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [فاطر:12].

عذب فرات ومستساغ المذاق؛ لأنه يحوي كمية من المعادن المحلولة فيه مثل الحديد الذي يجعل طعم الماء حلواً، و(الماء الفرات) في اللغة

كما قال ابن منظور في لسان العرب: "الفرات : أشد الماء عذوبة . وفي التنزيل العزيز : ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان:53]. وقد فرت الماء يفرت فروتة إذا عذب، فهو فرات".

وكما أن البيان الإلهي وصف ماء الأنهار والينابيع بأنه عذب أضاف لها صفة أخرى وهي (فُرَاتٌ)؛ كذلك لم يكتفِ بوصف ماء البحار بأنه (مِلْحٌ) بل أتبعه بصفة ثانية بأنه (أُجَاجٌ) أي زائد ملوحته عن الحد، لأنه من الناحية العلمية إذا قلنا: إن هذا الماء يحوي أملاحاً؛ فإن هذا لا يعني شيئاً لأن كل المياه على الأرض فيها أملاح بنسبة ولو ضئيلة، ولذلك يجب أن نحدد نسبة الملوحة فيه، وهذا ما فعله القرآن الكريم.

أما الماء النازل من السماء فهو ماء مقطَّر، يمتلك خصائص التعقيم والتطهير، لذلك وصفه البيان الإلهي بكلمة (طَهوراً) أي طاهر ومطهِّر، قال ابن منظور في لسانه: "الطهور في اللغة هو الطاهر المطهر؛ لأنه لا يكون طهورا إلا وهو يتطهر به، كالوَضوء هو الماء الذي يتوضأ به، والنشوق ما يستنشق به".

فعندما ينزل الماء من السماء يكون طهوراً ثم يمتزج بالمعادن والأملاح في الأرض ليصبح فراتاً.

قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:48].

وأخيراً نقول: بأن القرآن تحدث عن مواصفات وخصائص الماء قبل أن يكتشفها علماء الفيزياء بقرون طويلة، أليس هذا دليلاً مادياً على أن القرآن هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟!

من يأخذ القلم بحقه؟

إن حق القلم مرتبط بحق خالق القلم سبحانه وتعالى، وإن من حقه، تعليمُ الجاهل، وتذكيرُ الغافل، ودحض الباطل وتشتيته، ونَسْفُ الضلال وتفتيته، كل ذلك بأمانةٍ وعلم وحُجّة.

ولذلك أقسم الله تعالى بالقلم في سورة القلم قائلاً: ﴿ن. وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سورة القلم:1].

والقلم أول مخلوق؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) [رواه أبو داود].

وقد ورد في صحيح ابن حبان قول النبي صلى الله عليه وسلم عن إدريس عليه السلام: (أول من خط بالقلم).

وبالقلم تكتب مقادير العام في ليلة القدر ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [سورة الدخان:4].

وبالقلم يكتب مصير الأجنة في بطون أمهاتهم؛ كما روى مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النِّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ، وَيَكْتُبُ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقُولُ اللَّهُ، وَيَكْتُبُ، ثُمَّ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَأَثَرَهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ فَلا يُزَادُ فِيهَا وَلا يُنْتَقَصُ).

وبالقلم يكتب الملائكة أقوال المكلفين وأفعالهم، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:18] أي بكتابة ما يصدر عنه كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَاماً كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار:10-12].

وبالقلم تكتب تواريخ الأمم وأيامهم، والعرب تقول: القلم أحد اللسانين.

وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن مما يجري أجره للمسلم بعد موته علما ينتفع به، وأعظم وسيلة لحفظ هذا العلم المنتفع به: كتابته، وانظروا إلى كثرة ما خطته أقلام أسلافكم من أنواع العلوم والمعارف حتى وصل إليكم تدركوا قيمة القلم والكتابة.

فالكتابة بالقلم [أو بالكيبورد وهو قلم العصر] نعمة من الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده، ولا خير في قلم لا ينفع صاحبه عند الله تعالى ، فإذا كان قلمه مصدر ضرر عليه في دينه فبئس القلم وبئس صاحبه ، وكسره خير من بقائه.

فمن أصحاب الأقلام من يتأكل بكتابته فينتقل من أقصى الشمال إلى أقصى اليمين ، ويثني اليوم على ما كان يشتم بالأمس؛ لأنه يكتب لمن يدفع أكثر ، أو يدور مع القوي حيث كان.

ومن أصحاب الأقلام من يتأكل بالشهوات والغرائز، فيتقيأ انحرافاته وشذوذاته الجنسية على أوراقه؛ ليشكل منها رواية تغوي القارئين والقارئات، من المراهقين والمراهقات.

ومهما يكُن، فإن ثمةَ أقلام عفيفة، وكتابات شريفة، ومقالات لطيفة، أخذَت بحق القلم، وقامت بأداء واجبه الأدبيِّ والشرعي، مُراعيةً حق الله وحق المسئولية المناطة بها.

وقديماً قيل : أمرُ الدينِ والدنيا تحتَ شيئين : قلم وسيْف، ورحم الله القائل:

وما من كاتب إلا ويفنى ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يَسرُّك في القيامة أن تراه

هل تجوز الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن نسي شيئاً؟

في الفترة الأخيرة وجدت قولاً منتشراً على صفحات الشبكة العنكبوتية وخاصة منها المواقع الاجتماعية يقول:

إذا نسيت شيئاً فمن الخطأ أن تصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما عليك أن تذكر الله لأن الله تعالى يقول: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:24] ولم يقل: واذكر محمداً إذا نسيت!

ورأيت من الواجب الرد على هذا الكلام الذي شاع وذاع؛ وأصبح يتداوله الناس كثيراً معتقدين صحته، والحق أنه ليس كذلك من عدة وجوه:

أولاً: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي حَرْبٍ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : "مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ فَنَسِيَهُ، فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَهُ عَلَيَّ خَلَفًا مِنْ حَدِيثِهِ، وَعَسَى أَنْ يَذْكُرَهُ". [رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة بَابُ: مَا يَقُولُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ].

ثانياً: خَرَّجَ أبو موسى المديني من طريق محمد بن عتاب المروزي: حدثنا سعدان بن عبيدة أبو سعيد المروزي: حدثنا عبيد اللَّه بن عبد اللَّه العتكيّ، عن أنس بن مالك رضي اللَّه تعالى عنه قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم: "إذا نَسِيتُمْ شيْئاً فَصَلُّوا عَليَّ تذْكُرُوهُ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى". قال الحافظ أبو موسى وقد ذكرناه من غير هذا الطريق في كتاب (الحفظ والنسيان).

وقال الحافظ السخاوي في القول البديع: 326 : إسناده ضعيف.

ثالثاً: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل أنواع الذكر لله سبحانه وتعالى فأول كلمة في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي لفظ الجلالة (اللهم) وهو ذكر لله واضح، ثم إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبب لصلاة الله على العبد، وإذا صلى الله على العبد حصل على النور الذي ينير له طريقه، ويطهر سريرته، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: 43].

فحينما نصلي على النبي صلى الله عليه وسلم؛ يصلي الله تعالى علينا ونكون أقرب إلى الله تعالى ومن كان قريباً من الله سيتذكر ما نسي ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ فالذكر ليس باللسان فقط بل أفضل أنواع

الذكر أن تذكر الله تعالى ما كان باللسان والجنان وأنت مستحضر عظمة الله تبارك وتعالى في قلبك.

جاء في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للإمام علي القاري:

«وذلك لأن الصلاة عليه مشتملة على ذكر الله وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، والاشتغال بأداء حقه عن أداء مقاصد نفسه، وإيثاره بالدعاء على نفسه، ما أعظمه من خلال جليلة الأخطار، وأعمال كريمة الآثار». انتهى.

فقد نص على اشتمال الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذكر الله تعالى وعدها ذكراً، فلا مانع من ادراجها في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

رابعاً: عند السادة المالكية : تتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند النسيان، قال الشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم في روضة النسرين في أحكام وفضائل الصلاة على النبي الأمين :

وأكدت عند الصباح والمسا دخول مسجد وضد أسسا
عند طنين الأذن والنسيان بين الأذانين أهم شان.

خامساً: يقول ابن القيم رحمه الله في جلاء الأفهام صفحة: 239 تحت باب (في مواطن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الذي يتأكد طلبها إما وجوباً وإما استحساناً مؤكداً):

الموطن الحادي والثلاثون: من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: إذا نسي الشيء وأراد ذكره، وذكر حديث أنس رضي الله عنه إذا نسيتم شيئاً؛ دون أن ينكره.

سادساً: يقول السخاوي رحمه الله في كتابه القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع: صفحة 227:

الباب الخامس: في الصلاة عليه في أوقات مخصوصه:

الصلاة عليه لمن نسي شيئاً. وذكر الحديثين المارين آنفاً.

سابعاً: يقول الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى في كتابه (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم):

بيان المواطن التي تسن فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: (13- عند نسيان الحديث) وذَكَرَ الحديثيْن.

فهذا الاستشهاد من الأئمة رحمهم الله تعالى برواية أنس كان مع علمهم بضعفها تأكيد على جواز اعتبارها هنا، لأنهم يعدون هذا الباب من فضائل الأعمال ،فاذا جمعنا إليه أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هو من جملة الذكر أيضاً استوت حجة المجيزين.

ونقل الامام النووي في كتابه الأذكار؛ الاتفاق على جواز الأخذ بالحديث الضعيف دون الموضوع في فضائل الأعمال فقال رحمه الله:

«قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم : يجوز و يستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً».

فإن قال قائل: لماذا نأخذ بالحديث الضعيف في مورد النص الصريح؟

أقول: إن الآية الصريحة هي الأصل العام الذي يندرج تحته الحديث هنا، فقد شرط العلماء لقبول الحديث الضعيف في فضائل الأعمال اندراجه تحت أصل عام، والأصل العام ذكر الله تعالى، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملة الذكر؛ فالرواية مندرجة تحت هذا الأصل، والبيان لازم على المانع، فلا تعارض بل هو تعاضد.

وحينما تجد بعض العلماء أجاز وبعضهم منع؛ فإن مرد ذلك الاختلاف بحسب الاعتبار:

فمن رأى أن الرواية الضعيفة تندرج تحت فضائل الأعمال لا يرى بأساً في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما من رأى الموضوع مندرجاً تحت باب العقيدة والاستعانة بغير الله! شدد النكير ومنع الأخذ بها.

مع أن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي من الذِّكر؛ ففيها خطاب ودعاء لله عز وجل؛ لذلك لا يمنع اندراجها في معنى الذكر الوارد في الآية الكريمة. والله أعلم.

هل تقاس محبتنا لنبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة الاعجابات؟!
وهل يجوز نشر الرسائل التي تتوعَّد من لا ينشرها بالمصائب؟!

السؤال: من الأخ حسن فوزي يقول: (لو بتحب الرسول اضغط لايك وصلّي[1] عليه) ينشر دائماً مثل هذه الجُمَل، ومن منا لا يحب الرسول (صلى الله عليه وسلم) أرجوا الإيضاح دكتور محمد؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه، أما بعد:

فيا أخي الكريم: هذه الظاهرة انتشرت بقوة في الفترة الأخيرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك والواتس أب) وغيرهما، وهذا

1- وهذا أيضاً خطأ من الأخطاء الشائعة، فكثير من الناس يكتب (اللهم **صلِّي** على محمد) والصواب: (اللهم **صلِّ** على محمد) بدون ياء، والسبب: لأن الفعل الماضي هو(**صلَّى**) ينتهي بالألف المقصورة، والألف حرف علة.
والقاعدة النحوية تقول: (الفعل المعتل الآخر يُبنى على حذف حرف العلة)، لذلك فعل الأمر منه (والمراد من الأمر هنا الدعاء) يجب حذف حرف العلة فتصبح (**صَلِّ**) بالتشديد والكسر، والخطأ الفاحش هنا كتابتها بالياء (**صلِّي**) لأنه بإثبات الياء يكون للمخاطبة المؤنثة – حاشا لله سبحانه وتعالى- .

من الدخَن الذي يعتور هذه المواقع لما فيها من الحرص على التكاثر والتباهي بكثرة المتابعين، أو الاعجابات (اللايك).

ومن أسوأ صوره التكاثر والمزايدة على الناس بحبهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم، بل بعضهم يهدد فيقول: (سأعتبرك كافراً إن لم تنشرها)!

وآخر يقول: (إن لم تنشرها فقد منعك الشيطان وهذا دليل ضعف إيمانك)؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم، وأسلوب رخيص ومشين؛ واستخفاف بالدين، وصنيع منكر، وتلاعب بدغدغة المشاعر الدينية، فلا يجوز التضيُّق على الناس وهم في سعة من أمرهم.

وإيجاب ما لم يوجبه الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، وترتيب ثواب أو عقاب على تلك الأعمال تقوّلٌ على الله تعالى بالباطل، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى:21].

فلا تجوز المتاجرة باسم نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يليق بمقامه أن يستخدم فيه اسمه لجلب المزيد من (الاعجابات) فمحبتنا لله ورسوله

صلى الله عليه وسلم لا تقاس بعدد (اللايكات)، بل ميزان المحبة في اتباعه صلى الله عليه وسلم؛ أن نقوم بما أمرنا به؛ ونجتنب ما نهانا عنه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:31]، وعدم ضغطنا على أيقونة (اعجاب) لا يعني عدم محبتنا لحبيبنا صلى الله عليه وسلم أبداً.

وإذا كان المهدِّدُ بهذه العبارات صادقاً فيما يقول، فقد كفَّر المسلمين بما ليس بمكفِّر، وبهذا يشمله الوعيد الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم: (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلا رَجَعَتْ عَلَيْهِ) [متفق عليه]، وإن كان يعلم أنه غير صادق في عبارته فإنه كاذب والكذب حرام.

لذا لا يلزم القارئ أن ينقر على (زر الاعجاب) مهما كان، لما في ذلك من إلزام الناس بما لا يلزم، ومن هنا جاء النهي عن النذر لما فيه من إلزام المرء نفسه بما لا يلزم، وحب الله ورسوله لا يزيد بـ (زر اعجاب) ولا ينقص بتجاهل المنشور .

والله تبارك وتعالى أعلم.

يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟

موقف نبوي في طياته معانٍ عالية وأخلاق راقية، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: يَا غُلاَمُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ) [أخرجه الشيخان].

قبل أن نتذاكر بعض ما يستفاد من هذا الموقف الكريم من نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ تصوَّر معي أخي الكريم: لو أخبرك أحد الثقات بأنه حضر مجلساً كان فيه (الملك وثلاثة من الوزراء وولد صغير)، فاستأذن الملك من الولد أن يبدأ بإعطاء الوزراء قبله فامتنع الولد! الله أكبر.. إنه خلق الأنبياء ..!

من دروس هذا الموقف النبوي الكريم:

1- أن مجلس أعظم البشرية عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كان مفتوحاً للجميع يحضره الكبير والصغير بل وقد يكون الصغير أقرب مكاناً من بعض الكبار.
2- التواضع للصغار بالجلوس معهم ومحاورتهم واستئذانهم إذا كان لهم حق وانظر في المستأذِن هنا إنه خير البشر

والمستأذَن غلام! فيا أيها المعلم و يا أهل المربي ما أحسن أثر استئذانك من الصغير في حقوقه ولو كانت قلماً أو ورقة من دفتر.

3- أن الصغير إذا اطمأن إلى الكبير ولم يخش شيئاً يكرهه أبدى رأيه صريحاً ولو كان جوابه على غير رغبة السائل.

4- رعاية الموهوبين، فالغلام الذي حضر هذا المجلس هو عبدالله بن عباس رضي الله عنهما والذي دعا له النبي عليه الصلاة والسلام (اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ) [صحيح ابن حبان] ومما يبين ذكاء الغلام وبراعته هو روعة جوابه اللطيف: (مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ) فلم يقل: لا، فالشرب بعدك يا رسول الله فضل كبير وميزة لا أعطيها لأحد.

5- مراعاة مشاعر الآخرين، وكسب قلوبهم (أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ)؟ حيث فيه تطييب لخواطر الكبار وإظهار الاهتمام بهم وإكرامهم.

6- طهارة نفوس الصحابة رضي الله عنهم فلم يكن هناك اعتراض أو نقد أو لمز، ومن أراد اختبار أخلاقه فلينظر في تعامله مع من هو دونه من صغير أو خادم أو غيره.

7- أن الاحترام للآخرين هديٌ نبويٌ نبيل، فهنا احترامه للغلام شيءٌ ظاهر، بل والله إن المرء ليعجب من الاحترام الذي شُرع للميت، فمع أن الميت جثة قد فارقت روحُه جسدَه إلا أن له حرمة عظيمة، ففي الحديث (كسرُ عَظْمِ الميِّتِ ككسرِهِ حيًّا) [أخرجه أبو داوود وابن حبان].

وبعد تغسيله وقبل دفنه جاء الأمر بالقيام عند مرور الجنازة (إذا رأيتمُ الجنازةَ فقوموا) [أخرجه الشيخان] وجاء في ما بعد الدفن حديث: (لأن يجلسَ أحدُكم على جمرةٍ فتُحرقَ ثيابَه، فتخلُصَ إلى جلدِه، خيرٌ له من أن يجلسَ على قبرٍ) [أخرجه مسلم].

8- حفظ الحقوق لأهلها وإن كانوا ضعفاء، فالنبي عليه الصلاة والسلام استأذن الغلام لأن هديه صلى الله عليه وسلم إعطاء من على يمينه، كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتانا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في دارِنا، فاستسقى، فحلبْنا له شاةً، ثم شِبتُه من ماءٍ بِئري هذه، قال: فأعطيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فشرب رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأبو بكرٍ عن يسارِه، وعمرُ وِجاهَه، وأعرابيٌّ عن يمينِه، فلما فرغ

رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ من شُربِه.، قال عمرُ: هذا أبو بكرٍ. يا رسولَ اللهِ! يُريه إياه، فأعطى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الأعرابيَّ، وترك أبا بكرٍ وعمرَ، وقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ (الْأَيْمَنُونَ، الْأَيْمَنُونَ، الْأَيْمَنُونَ). قال أنس: يعني: فهي سُنَّةٌ، فهي سُنَّةٌ، فهي سُنَّةٌ.

ولا تعارض بين تقديم الكبير وبين سنة التيامن، فحديث تقديم الشراب للأيمن وإن كان صغيراً أو أعرابياً لا يخالف الحث على تقديم الأكبر، لأن الحق هنا غير متساوٍ فالأيمن أولى به لجهته، فبعضهم أولى به من بعض، فيُعْطَى كل ذي حقٍ حقه، والغلام كان أولى بالشراب من الأشياخ فقُدِّم له حقه.

9- هذا الحديث يبين احترام شخصية الطفل، وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا شاهد الصغار يلعبون يسابقهم هل تصدقون ذلك؟ تأليفاً لقلوبهم، وكان يركب الغلام على الناقة ليدخل على قلبه الفرح! أي غلام بالطريق، يصعد ويركبه أمامه، وكان في البيت إذا صلى ارتحله الحسن والحسين فكان يطيل السجود، وذات مرة كان يخطب رأى ابن ابنته الحسن يتعثر في مشيته؛ فنزل من على المنبر وحمله

وصعد، إنهم جيل المستقبل ورجال الغد الواعد؛ لأن الأجيال حينما تعطي الصغار خبراتها العالية تضمن مستقبلها.

10- قد لا يوجد عند الطفل أفكار، ولكن لديه أحاسيس ومشاعر، فإذا أكرمته انضمَّ لك، وإذا احترمتَه والاك، وإذا اعتنيتَ به اتَّبَع تعليماتك ووصاياك بكل دقة واهتمام.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

الفهرس

التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
1	**الفصل الأول** **مواسم الإيمان**	6
2	نور أضاء .. فبدد الظلماء ..!	7
3	الإسراء والمعراج: حِكَمٌ و أسرار	12
4	الأصَب شَهرُ رَجَب	22
5	الرسول صلى الله عليه وسلم في العيد	29
6	الوافد الحبيب.. شهر الخير والنصر القريب	35
7	رمضان شهر القرآن: ومدرسة سباق، وأخلاق، وأرزاق	43
8	عاشوراء .. يوم سرَّاء لا بكاء	51
9	عاشوراء .. يوم عبادة وذكر وشكر	58
10	عام فات.. وعام آت.. وهكذا تمضي السنوات	65
11	عام مضى والعمر يمضي.. كلما مرَّ يومٌ مرَّ بعضي	70
12	عشر ذي الحجة أفضل أيام الدنيا	74
13	في المعراج حكمة تستحق التأمل!	82
14	لا تضيع اللبن في الصيف.. فلا زال رمضان ضيف	86

15	لمحات حضارية في غزوة بدر الكبرى	89
16	ليلة القدر خير من العمر كله	103
17	ما أجمل الولادة من جديد!	108
18	ما حكم الأعياد؟ وما عيد المسلمين؟	110
19	ما هو التغيير الحقيقي يا صديقي؟!	114
20	مرحباً بشهر الخير و التغيير	120
21	هذا عيدنا أهل الإسلام	125
22	يوم عرفة.. هنيئاً لمن عرفه!	131
23	**الفصل الثاني** **عبق الإيمان**	136
24	بسم الله رب الغلام	137
25	(الفاروق عمر والشاب القاتل وأبو ذر) .. قصة فيها نظر	141
26	الاشتقاق الكُبَّار أو النحت في اللغة العربية	149
27	الحسبة في الإسلام	157
28	تركستان.. جرح ينزف	165
29	حفظ النصوص.. وكيف استفاد الغزالي من اللصوص؟!	170
30	(حكم الإقلاب): خطأ لغوي شائع	176
31	خطورة التصحيف والتحريف!	178

32	كان الحبيبُ لا يرُدُّ الطِّيب	185
33	كيف اعتنى الإسلام بأولي الضرر (المعاقين) ؟	190
34	كيف كان العلماء يصلحون ؟	199
35	لماذا اختار الله الغراب لتعليم ابن آدم ؟	202
36	ليتنا نقول: اسم الجلالة (الله) ولا نقول: لفظ الجلالة (الله)!	207
37	ما حكم اتكاء الخطيب على العصا أو السيف؟	211
38	محنة البخاري جديدة قديمة.. وفصولها.. محزنة وأليمة	218
39	ملاحظات حول أقدم نسخة للمصحف في جامعة برمنغهام	224
40	من أنواع المياه في القرآن الكريم: العذب الفرات والملح الأجاج والطهور	232
41	من يأخذ القلم بحقه؟	235
42	هل تجوز الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن نسي شيئاً؟	238
43	هل يجوز نشر الرسائل التي تتوعَّد من لا ينشرها بالمصائب؟!	244
44	يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟	247
45	**الفهرس**	252

أريج التقوى
الدكتور محمد محمود كالو
دار النهضة العلمية
1439 هـ 2018 م